
المجلد الثالث
العدد الثالث
أبولو
مجلة فنية لخدمة الشعر العربي
لسان حال جمعية ابولو
تصدر مرة فى كل شهر
وسنتها عشرة اشهر
نوفمبر سنة ١٩٣٤
صاحب الامتياز ورئيس التحرير
أحمد زكى أبوشادى
الادارة
بشارع الملك المعز رقم ٩
بضاحية المطرية بمصر
التليفون
٦١١٩٦
و ٤٠٤٥٦
مطبعة التعاون



حافظ وشوقى

انقضت سنتان على وفاة شاعرىْ مصر العظيمين وشاعرىْ العروبة محمد حافظ ابراهيم وأحمد شوقى ، وقد أراح نفوسنا فى موقف الألم أن يَظلاَّ فى منزلة الذكر والتقدير . ويذكر قراءُ (أبولو) أننا لم نتوانَ قبلاً فى أداءِ واجبنا الأدبى نحو الفقيدين العزيزين باصدار عددٍ خاصٍّ عن كل منهما فى وقتٍ شاءت السياسة اللعينةُ أن يحفل بأحدهما وتنسى الآخر ، وهكذا ما تطرقت السياسةُ الى الأدب إلاَّ وحاولت إفسادَه .

وكم كان بودّنا أن تقترنَ هذه الذكرى المجدَّدة باظهار المنسىّ أو المتروك من آثار هذين الشاعرين الكبيرين مع التوسع فى دراستهما فى كتبٍ جديدةٍ ، إذ لا فائدة تذكر من المقالات الصحفية المألوفة التى قد تكرر مثيلاتها عاماً بعد عام دون أن يكون لها أثرٌ جدىٌّ فى إفادة الشعر ونقده الفنى . وتحقيق ذلك يترتب على معاونة آل الفقيدين وغيرتهم لأنّ إقبال الأدباء مضمون وهذا غاية ما يُنتظر منهم.

رحمهما الله رحمة واسعة عداد حسناتهما للأدب والعروبة ، ووفقنا جميعاً الى البر الدائم بذكرهما .

أبولو وجمهورها

الشاعر الظريف مصطفى كامل الشنَّاوى فى غنًى الآن عن التعريف به ، وجمالُ شخصيته هو فى أن نُحمل على ظرفها لا أن نُحاسب محاسبةً جدّيةً عسيرةً كما كنا نفعل سابقاً مخطئين ، مهما كتب أو فعل .

وقد تفضل على محبي فكاهاته — ونحن بينهم — بمقالٍ شائقٍ كلّه عبثٌ

يلائم فصل الخريف المضطرب ، وذلك فى صحيفة (الوادى) الغراء المؤرخة ١٧ أكتوبر الماضى ، فرأينا أن نلمّ به لقرائنا ، أو بالأحرى رأينا أن نستخلص بعض الدروس الجدية من هذا اللهو البرىء أو غير البرىء ، ونرجو أن ينتفع ناقدنا الظريف وصحبه بهذه الدروس فليس اللهو وحده كافياً لغذائهم الفكرى :

(١) انّ خطة هذه المجلة وجماعتها هى أن تخدم مبادئها فى هدوء ، بعيدة عن مهاجمة أحد ، وصفحاتها سجلٌّ صريحٌ لهذه الحقيقة . ونحن لا نتعرَّض لأحد كائناً مَنْ كان الاّ دفاعاً عن آرائنا وكرامتنا ، فان لنا رسالة أدبية خالصة هى فوق كل اعتبار شخصى . فمن الخير له أن يعترف بذلك ، وسواء شاء أن يراجع نفسه فى ذلك أم لم يشأ فتكفينا شهادةُ الكلمة المكتوبة ومناسبتها وتاريخ صدورها ، فلا نخشى بعد هذا من أىِّ اتهامٍ لأنّ البراهين المثبتة حُسنَ طويتنا ووقوفنا موقف الدفاع الصريح والاصلاح البرىء ثابتةٌ لنا ودامغةٌ خصومنا الأنانيين ، والمكاتب العامة ميسورة بحمد الله للقراء الذين يعنيهم متابعة هذه الأمور وموازنتها بعد الاطلاع الكافى .

(٢) انّ نشر ديوان (الألحان الضائعة) للصيرفىّ أمرٌ طبيعىٌّ ، ولا نفهم لماذا يدّعى صاحبنا العزيز أنّ ظهور ديوان (الملاح التائه) لعلى محمود طه هو الحافز لاخراج ديوان الصيرفى فهو ادّعاء عجيب لم نسمعه قبلا من أحد ، مع أن على محمود طه اطلع على ذلك الديوان من قبل نشره بشهور وقد أُعلن عنه حينئذ . واذا كان هذا الديوان كثير الشبه بالملاّح التائه فسيكون أكثر شبهاً به ديوان الهمشرى الذى يُهيَّأ الآن للطبع . ونحن نسمع فى بعض المجتمعات أن الهمشرى يتأثر على محمود طه وأن الصيرفى كذلك تأثره ، ولعلّ من الخير الأدبى أن ندع لهؤلاء الشعراء الأفاضل اطلاعنا على الحقائق فى هذه المسألة واعلان تواريخ قصائدهم المنشورة فلا لذة لنا فى أن نكون مخطئين غامطين فضلَ أحدٍ .

(٣) يظهر أن صاحبنا الفاضل مفتون بخلق ميثولوجيا عصرية ، فانّ ما يذكره من « الوقائع » لا أصل له ولا قيمة الاّ فى التفكه به ، فبيئة (أبولو) من أنقى وأرقى البيئات وإن كان بابها مفتوحاً للزائرين من الأدباء ؛ وقد يكون بعضهم غير متجانسٍ معها فسرعان ما ينقطع عنها ، وهى بيئةُ شعر وثقافةٍ لا بيئة مشارب وقالٍ وقيلٍ وتنابذٍ ، فانّ وقتنا وطبيعتنا وجهودنا جميعاً لا تسمح بشىء من هذا. واذا كان بين زائرينا مَن لا يرضيه فليست زيارته خاصة بنا ، وعليه أن ينظر حوله

أولا ! وليست نوادر الشذوذ بالتي تُقتَبَس من مجالسنا وإنما مجالها المعروف مجالسُ العقاد العجيبة .

(٤) يقول صاحبُنا المحقق المدقق إن دواويننا تزخر بالمطوّلات فى مدح صدقي باشا (كذا) وفى الوقت نفسه يعطينا درساً ظريفاً فى فلسفة الأخلاق ! فنقول لصاحبنا المحقق المدقق — سامحه الله — إننا لسنا من شعراء الأمداح وإنه لا يوجد فى دواويننا غير ثلاث قصائد تعنى صدقى باشا — واحدة منها قومية عتاباً له على انتقاص قدر الزعماء والتفريق بينهم ، وهذه منشورة فى ديوان « الشعلة » (ص١٠٧) والثانية شخصية محضة موضوعها بثّ ظلامة من محاربة الحكوميين لنا وهى موجّهة الى صدقى باشا لا بصفته رئيس الحكومة فقط بل بصفته صديقاً قديماً لأسرتنا ، كما هو حال المغفور له سعد باشا وكما هو حال النحاس باشا ، وكلّ منهم خاطبناه بصيغة « العم العزيز » لأننا — ونحن بعيدون عن السياسة كلَّ البعد — نأبى لها أن تطغى بحالٍ من الأحوال على الصداقات العائلية ، ونبكى على حالة التطاحن والفتنة الحاضرة ، كما لا يرضينا بحال من الأحوال ارضاخ الأدب للسياسة ، وقد نادينا بذلك فى جميع الظروف ، وهذه القصيدةُ منشورةٌ فى ديوان « الشعلة » (ص ١١٧) .

وأما عن القصيدة الثالثة فقد نُظمت عند استعفاء صدقى باشا ، وهى منشورة فى ديوان « فوق العباب » (ص ٤) ، وشعر هذا الديوان الأخير متناقَلٌ كذلك وإن كنا لم نُصدره بعد . وليس فى شيء من هذا الشعر أىُّ طعن فى الوفد ولا فى غير الوفد ولا أىّ خذلانٍ للديمقراطية المصرية بل الأمر على عكس ذلك. واذا أراد صاحبنا مثالاً بارزاً لامتداح صدقى باشا ثم الانقلاب عليه ، وللطعن المقذع فى الوفد ثم امتداحه ، فليسأل عنه الدكتور طه حسين نفسه ، وأما مجاراته للمغرضين الكائدين فما لا يجوز أن يتَّفق وروحُ الظرف الذى اشتهر ناقدنا بها ، كما لا يتّفق ومهمته الجديدة فى القاء دروس عن فلسفة الأخلاق ! ويحسن به أن يسأل أعلام الوطنية المصرية عن نصيب أسرة (أبي شادى) فى النهضة بدل هذا التحكك المضحك بفردٍ من أفرادها ليس أقلها معرفة بواجباته الوطنية . وانّ تقلب سادتنا الصحفيين المحترمين للسياسة لأشهر من أن يُعرّف به ، فعلام اذن كل هذا الحذر ؟!

(٥) إن تقديرنا لأدب العقاد معروفٌ كما أن تحامله وتحامل تابعيه علينا أمرٌ ذائعٌ محسوسٌ . وحقيقةً نحن شخصياً نعتبر العقاد مثال الشاعر المفكر ، كما نعتبر شوقى مثال الموسيقار المغني . ولكننا لم نقل إننا لا نعدل بالعقاد شاعراً من شعراء

مصر ولا يمكن أن نقول ذلك . وقد ذكرنا من قبل إن الطبيعة أرادت أن تخلق من شوقي موسيقاراً فجاء شاعراً ، كما أرادت أن تخلق من العقاد متأملاً مفكراً فجاء أيضاً شاعراً . ولكننا لا نرضى بعد هذا عن روح الأنانية الهدامة من هذا الشاعر أو ذاك ، ونأبى إباءً تضحية شعر الشباب الممتاز حامل الشعلة ترضيةً لأهواء الشيوخ الأنانيين ، ونرى من الواجب علينا أن نضع الأمور في نصابها ولكن في رفقٍ وهوادةٍ . فالعنفُ الذي نُتَّهم به إنما هو عنفُ المدافع عن شرفه الأدبيّ وكرامته ازاء المتهجمين والكائدين الذين لم يتورعوا عن أي وسيلة لمحاربتنا .

(٦) لقد خلقتْ (جمعية أبولو) ومجلتها حركةً اصلاحيةً عظيمةً لها شواهدُها العديدةُ فلا يضيرنا بعد ذلك الكلامُ عن شعرنا « الفجّ » ، فهذا نقدٌ مبهمٌ لا قيمة له . ولا يضيرنا اتّهامنا بنفس ما نُساءُ به من كيدٍ مسجّلٍ في صُحُفِ خصومنا المغرضين ، فمن السهل على أيِّ ناقدٍ مستقلٍّ أن يراجع الصحفَ وتواريخَها ويتتبَّع ما يُدبَّر ضدنا من حملات وكيف نقف موقف الدفاع منها دون أن يكون لنا أيُّ حول ولا قوة سوى قوة إيماننا وتعلقنا بمثلنا الأعلى .

وبعد ، فنهنيء صديقنا الشناوي بهذا البخور المبتكر ، ولو سأل عقله الباطن عن الداعي اليه لقال له على الفور : إنّ تأليه العقاد وانتقاص مَنْ لا يرضيه ضريبة لا مفر منها لمن يريد استبقاء مودة « الفيلسوف الأكبر » ... ولعله يوافقنا على منطقٍ بسيطٍ جداً : وهو أنه لولا تعرضه لنا لما نشرنا هذه السطور . وهذا هو موقفنا دائماً من العقاد وغير العقاد ، إذ لا مصلحة لنا ولا لذة في التهجم على أحد ، بينما سلسلة الاساءات المتوالية لنا جزاء استقلالنا مسجَّلةُ الحلقات وستبقى خزياً دائماً لخصومنا .

الطلاقة اللفظية

لقد تناولنا غيرَ مرّةٍ موضوعَ الطلاقة الفنية وأثرها في خدمة الفن ، ونريد الآن أن نقول كلمة في الطلاقة اللفظية التي لا تنفصل عنها حتى لا يتوهم أحدٌ أن إهمال اللغة عنصرٌ من عناصر الطلاقة الفنية التي ننادي بها ، خصوصاً وقد قال مَن يحلو لهم الانتقاصُ من كتّاب الدعاية إن في شعر الشباب الحاضر « الفوضى والشطط والغموض والرغاوة ، وكذلك ضعف الأداء والتقصير اللغوي وعدم الدقّة في

التعبير » وأمثال هذه التهم ، مع أن شعراء الشباب الحاضر له نظائره في شعر الشيوخ والكهول ويفوق بمراحل شعر الشباب في القرن الماضي وفي مستهل هذا القرن ، وقد اعترف بذلك أخيراً الدكتور طه حسين .

ونحن ننكر أن في شعر الشباب شيئاً من تلك الصفات يستحق كل ذلك التهويل أو يجعله فجاً مهيناً ، ولكننا في الوقت ذاته نطالب الشباب بالتطلع المتواصل الى المُثُل العليا والدأب المستمر في سبيل بلوغها ، وبهذه الروح نحافظ على نهضتنا الفنية .

وبينما ندع لكل شاعر من شعراء الشباب القديرين - (وهم وحدهم الذين نعنيهم باشارتنا ونحفل بنشر أدبهم من بين زملائهم) - الدفاع عن شاعريته ازاء التهجم المغرض سواء أجاء مكشوفاً أم ملفوفاً ، لا نود أن تفوتنا الاشارة الى أن ما يعيبه السطحيون أو المغرضون على شعر الشباب هو في الواقع « طلاقته اللفظية » التي بلغت الآن غايتها فيما يلوح لنا ، وأمثلة هذه الطلاقة ملحوظة في شعر المبدعين من الشعراء المتقدمين ، ولا نقول هذا الا تقريراً للحقيقة لا تغريراً بأحد ، فنحن أعداء الغرور والتصنع والدعاوى الباطلة ولن نكون يوماً من أنصارها .

إن الطلاقة اللفظية الصحيحة يجب أن تكون أولاً وليدة الثقافة لا وليدة الغرور والجهل ، وفي الواقع لم نجد شاعراً ذا طلاقة لفظية الا وكان مثقفاً تثقيفاً جيداً في الأدبين الشرقي والغربي وكان بعيد النظر واسع الأفق جريئاً . وهذا ما يدعوه الى مخالفة القواعد أحياناً لاعتبارات فنية تسمو فوق القيود ، فلا الخليل بن أحمد ولا سيبوية بمن يؤبه له حينما يتغلب على الشاعر المبدع اعتبار فني قوي في الصياغة أو في الموسيقى أو في إيحاء الألفاظ بتركيب معين يدعوه الى مخالفة المألوف ، والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة في شتى اللغات .

أما هذه المخالفة فهي في عُرفهم عينُ القوة والابتكار اذا ما جاءت في نظم شاعر معروف يتملقونه ، ولكنها عكس ذلك في نظم أي شاعر قدير متوار ، شاباً كان أم غير شاب ! وليس معنى هذا أننا ندعو لمخالفة القواعد والعبث بالتقاليد الأدبية فان للغة حرمتها عندنا ، وانما نقول في غير مواربة إن جلالة الشعر الفنية هي فوق الاعتبارات النقدية السطحية ، وخصوصاً ما كان منصباً منها على لفظ من الألفاظ أو على صورة من صُوَر الأداء .

ولولا الطلاقةُ الفنيةُ روحاً ومعنى ولفظاً لما كان لنا شعرُ المتنبي العظيم ، ولولا تقدير الفن من حيث هو فن بغض النظر عن سن الشاعر لما كان للشعر الجديد

آثار بيرون وشيلي وكيتس وروبرت بروك وأمثالهم ، ولما كان شعرُ وليم بليك الذى رفع به شبابه شعلة التجديد فى القرن الثامن عشر ، فالتغنى بالفوضى « والشطط والتفكك والغموض والرغاوة » الخ . انما هو تعالٍ وتمحُّك لا معنى له ، وليس أدلّ على ذلك من صدور هذا النقد ممن لا يسمو أدبُهم فوق مستوى أدب الشباب المبرّز ، وهو وحده الذى يعنينا إذ لسنا من أنصار الضَّعف والتعثّر والتميُّع . واذا كنا ندافع عن أدب الشباب فانما هو دفاع الحق لا دفاع التغرير ، واذا كنا نأبى الألقاب الجوفاء للشيوخ والكهول فغيرُ معقولٍ أن نتبرع بها أو بمعانيها لشعراء الشباب .

ولولا محاربة الطلاقة الفنية لما قال مثل الأستاذ المرصفى فى (الوسيلة الأدبية للعلوم العربية) - ج ٢ ص ٤٦٨ - هذا الحكم العجيب على المتنبي والمعرى : « . . . الشعرُ له أساليب تخصّه لا تكون للمنثور ، وكذا أساليب المنثور لا تكون للشعر ، فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب فلا يكون شعرا ، وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا فى هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعرى ليس هو من الشعر فى شىء ، لأنهما لم يجريا على أساليب العرب من الأمم عند مَنْ يرى أن الشعر يوجد للعرب وغيرهم ، ومَنْ يرى أنه لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج الى ذلك ويقول مكانه الجارى على الاساليب المخصوصة » .

هذا ما يقوله أستاذ الأدب العربي بدار العلوم لنصف قرنٍ مضى ، ناسياً الشواهد الرائعة التى تخالف ذلك لأبى تمّام وابن الرومى وغيرهما من الفحول ، وكتابه (الوسيلة الأدبية للعلوم العربية) هو الذى قال فيه أحد كبار شعرائنا السابقين — عند ما سأله الدكتور هيكل بك أن يدلّه على أثرٍ عربيٍّ يشغله عن الآداب الأوروبية — إنّه ذلك الكتاب ! وقد تطوّرَ كثيراً رأىُ شيوخ دار العلوم الأجلاء فى شعر المتنبي والمعرى وإن بقيت هذه الروحُ القديمةُ - روح الفقهاء - عند نفرٍ من خريجى دار العلوم والأزهر . وهل ثمة أعجبُ من تجريد المتنبي والمعرى عن شاعريتهما لا لسبب سوى أنهما لا يلجآن الى الأساليب التقليدية فى تعبيرهما ؟ ! أمّا الآن فكلُّ أديبٍ مثقفٍ يعلم أن هذه الطلاقة اللفظية هى جزءٌ من عبقرية الشاعرين .

وليست تلك العيوبُ الغريبةُ التى ذكرناها فى صدر هذه الكلمة من قلم أحد الشعراء وأحد النقاد الفقهاء وقد وجهها الى شعر الشباب ـ ليست تلك العيوبُ الا صورة من الطبيعة الأسيرة التى اذا تحرَّرتْ أحياناً فسرعان ما تعود الى القيود التى تعوَّدتها ، وهذه الطبيعةُ الأسيرةُ تتصوَّر عناصرَ الطلاقة اللفظية عند شعراء الشباب فى تلك العيوب ، وما تلك العيوب الا مرآة الأمر والاضطراب عند تلك الطبيعة المغلولة كما ألمعنا وهى تخالها فى غيرها !

ان شعر الشباب الحاضر ليس فجاً وليس جامعاً لتلك العيوب التى لا تُحصر ، بل هو صورةٌ جديدةٌ من التحرُّر المثقف المتعدِّد الألوان ، وإن كان لا يرضينا أن نكتفى بما بلغه من تجويد واتقان ، فطلابُ المثُل العليا لا يعرفون القناعة ولا الغرور ، وهم كلما بلغوا أمانيهم استمرُّوا فى تطلعهم الى ما هو أبعد منها سواء فى اطلاعهم أو فى انتاجهم ، تشغلهم الكليات الفنية بينما تشغل سواهم همزة وصل أو إباحة عروضية !

الفلسفة والصوفية فى الشعر

سمع أحدُ مريدينا عن قصيدتنا « الانسان الجديد » فقال إن مثل هذا الشعر مما لا يوجد استعدادٌ لقبوله فى الجيل الحاضر . ولا ندرى كيف يقال هذا وأمام محبى الاطلاع منذ أجيالٍ ديوان « اللزوميات » وكتاب « الانسان الكامل » . ان الفلسفة والتصوُّف عنصران ضروريان للشعر العالى وإن صِيغ بعبارة الطفولة الساذجة كما فى مقطوعة « الانسان الأول » لصالح جودت ، وما من شكٍّ فى أن اليقين وليد التأمل والبحث ، فكل أدب يشمل هذا التأمل والبحث ـ كيفما كان اتجاههُ ـ هو أدبٌ جديرٌ بالاحترام .

يقول صالح جودت فى ديوانه (ص ١١٢) :

فى فجرِ دنياكَ والأكوانُ ناشئةٌ ۞ واللهُ طفلٌ لها(١) بالطين والماء

مصوِّراً منهما الانسانَ فى صُوَرٍ ۞ لم يَرْضَ عنها مُناهُ الطامحُ النائى

أفنَى عظيمَ الحِجا والتربَ تجربةً ۞ إلاَّ حُثالةَ أضغاثٍ وأشلاء

(١) لها : عبث .

(البقية على الصفحة ٣٤٦)



أبو نواس

الحسن بن هانىء

شاعر خرجت الأغانى لا تحمل ترجمة مفردة له ، ولست أدرى أهو صاحبنا أبو الفرج الأصبهاني الذى تغافل عنه فأسقطه من حسابه ، أم أسقطت ترجمته بعد أن تداولتها أيدى النُسَّاخ . عُرف بلقبه دون اسمه واشتهر به حتى صار علماً يطلق عليه فى كل أطوار حياته . أثر مرآه الخارجى فى مستقبله ، وكان عدته فى تقدمه إلى أن برز ونبغ ، واستهتر ولم يتستر ، وبات اللهو والمجون والتبذل علانية صفة له لا تبرحه ، وقد يكنى بها لو قدرت له هاته الكناية .... واختلف الرواة فى أول ما قاله من الشعر اختلافهم فى نسبه ، وتباينهم فى أبيه ، وتفرقوا عند الحديث عن أمه ، وترك كذلك نهباً بينهم عند تحقيق ميلاده ووفاته وسنه !

وقد ترى فى هذا عجباً وقد تدهش أكثر إذا علمت أن الرجل مات فى السادسة والأربعين من عمره فى زعم البعض ، والثالثة والستين فى زعم آخرين ، وفى التاسعة والخمسين على ما حققته الغالبية ومنهم ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان ، على أنى أذهب الى أن سبب هذا هو استهتار أبى نوّاس وإسرافه فى التبذل وكثرة ما غلب على شعره من الهزل ، فاضطر كثير من الرواة الى أن يغفلوا شعره ، أو أن يذكروه إلماماً على هامش سواه . فكانت أكبر ترجمة له لا تزيد عن الورقتين أو الثلاث ، وكان الرجل الوحيد الذى تحدث عنه بإفاضة ودرس شعره وأسرف فى تقييده هو ابن منظور المصرى صاحب « لسان العرب »[1].

(١) الكتاب الذى صححه وضبطه الأستاذ محمد عبد الرسول ابراهيم بدار الكتب .

وصاحبنا هو الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن الصباح ورجع به ابن خلكان فى فى وفيات الاعيان(١) الى الجراح بن عبد الله الحكمى والى خراسان على أنه جده فنسبه اليه ، وإن كان أكثر المؤرخين يقولون إنه من مواليه ، وأبوه هانىء قيل كان كاتباً لمسعود المادرانى على ديوان الخراج ، وقيل كان يرعى الغنم ، وقيل بل كان حائك ثياب، على أنه - كما حققه صاحب « وفيات الأعيان » - كان من جند مروان ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية . أصله من دمشق وقدم الأهواز للرباط بها والشحنة ، وتزوج بها وولد له فيها أبو نواس ، ثم نقلته أمه الى البصرة وهو بعد فى السادسة من سنى حياته .

وتستطيع أن تدرك من ذلك أن أبا نواس عباسى نشأ مع دولة العباسيين وعلى مقربة من حاضرتهم بالبصرة ، ونبه فيها ، ثم قضى وشمسها فى الذورة ، فكأنه عاصر أيامها الذهبية . وعلى هذا القياس يجب أن ننظر الى شعره وننقد مدار حياته .

على أن أبا نواس — وإن انصرف الى القصيد — عاش غالبية حياته فى المجون واللهو ، وأسرف فى الخطيئة اسرافاً ، ولم يترك موبقة الا وارتكبها ، وزاول الرذائل جملة حتى عافت نفسه هاته الخطايا ورجع عن عصيان ربه فندم على ما فات وتحسر لما أتاه فى أيامه الأولى ، فنسك وزهد وبات إماماً حكيماً ينطق بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة . وكما نبغ فى شعر اللهو والمجون نجح فى شعر الزهد والتوبة ، ولذا ترى لأبى نواس طورين متباينين من حياته يجب أن تدركهما عند مطالعة ديوانه ، وأن ترقب شعره تحت ضوء هاته الحقيقة حتى لا تسرف فى خلطها لئلا تخرج بتناقضه هو الآخر كبعض من تبعه من العباسيين .

والغريب أن موقفك من ديوان أبى نواس يشبه الى حدٍّ ما موقفك من ديوان بشار : فانت مرغم إرغاماً على مطالعة هزلياته فقد تدرك منها شيئاً عن المؤثرات التى أحاطت بالرجل فنهضت به وسيرت نبوغه فى مسار أقبل عليه ولم يبرحه ، وأنت مرغم كذلك على ايرادها دون حذف لأنك لو أسقطت هزليات أبى نواس وإسفافه ومجونه من شعره لخرج ديوانه مهزولا محلولا إلا فى بضع قصائد قالها فى المديح والرثاء والعصبية لليمن ، وفى قسوة لا تعدلها قسوة — لا بالرجل — وانما بأدب العصر الذى عاش فيه .

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٦٨

ودُعى صاحبنا (أبا نواس) لذؤابتين كانتا له تنوسان على عاتقيه ، وسُئل مرة فقال : أنا كنيت نفسى بذلك لأنى من قوم لا يشتهر فيهم الا من كان اسمه فرداً ، وكانت كنيته لسبعة [1] ولعـل صاحبنا يقصد الاذواء وهم الذّوون ملوك اليمن من قضاعة وهم ذو يزن ، وذو رعين ، وذو قائش ، وذو جدن ، وذو نواس ، وذو أصبح ، وذو كلاع وهم التبابعة . وروى حمزة بن الحسن الاصبهانى جامع ديوانه أن خلف الاحمر هو الذى كناه بهـا تعصباً لليمنية ، « فقال له يوماً أنت من اليمن فتـكنّ باسم ملك من ملوكهم الاذواء . فاختار ذا نواس فـكناه أبا نواس بحـذف صدره وغلبت عليه [2] » .

ونشأ أبونواس بالبصرة وقرأ القرآن على يعقوب الحضرمى حتى حذقه وأضحى اقرأ أهل البصرة ، وشب أبونواس فاسلمته أمه الى براء يعمل فى عود البخور فعمل معه حيناً ولـكنه لم يلبث أن تأدب وتعلم الـكلام ، وكان لزاماً عليه أن يترك حانوت البراء يوماً لبعـد ما بين الصناعتين صناعة العود وصناعة الـكلام ... ، إذ ذاك بدأ أبو أسامة والبة بن الحباب الأسدى فى سماء حياته فاصطحبا ، وكان أبونواس كما قدمت لك حسن الوجـه رقيق اللون أبيضه ، حـلو الشمائل ناعم الجسم ألثغ الراء يجعلها غيناً ، وكان نحيفاً فى حلقه بحة لا تفارقه ، عظيم الرأس وشعره دائم الانسدال على وجهه وقفاه ... فجن به والبة ولم يتركه وقضى فى صحبته حيناً يتعلم الشعر عليه الى أن قوى عوده فسأله الخروج الى البادية ليتعلم العربية والغريب ، فأخرجه مع وفد بنى أسد فأقام بالبادية سنة . وكانت هذه الفترة من حيـاته فترة التثقيف بحق فقد اختلف فيها الى أبى زيد فـكتب الغريب من الألفاظ ودرس نحو سيبويه وقرأ الحديث على كثيرين منهم عبد الواحد بن زياد ، ويحيى القطان ، وجلس الى الناشىء محمد بن حبيب الراوية فقرأ عليه شعر ذى الرمة .

وفارق أبو نواس والبة ورجع الى البصرة فتتلمذ على خلف الأحمر . . وكان هذا بحق أكثر أساتذته تأديباً وتخريجاً له ، أجهد نفسه فيه إجهاداً تتحسسه لو عرفت أن خلفاً لم يسمح لأبى نواس بنظم الشعر إلاّ بعد أن حفظ ألف مقطوع للعرب ما بين أرجوزة وقصيدة ومقطوعة ، وروى لستين امرأة شاعرة منهن الخنساء وليلى ... ولما حفظها وقضى فى انشادها له أياماً ، أمره بأن ينساها . . . فخلا بنفسه فى أحد

(١) ابن منظور ص ٣ (٢) خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٢٣٧ الشاهد ٥٣

الأديرة الى أن نسيها. وعندئذ أذن له بنظم الشعر فنَظمه[1] ونبغ فيه الى درجة أن حبيب بن أوس الطائى كان يقول «أبو نواس ومسلم بن الوليد اللات والعزى وأنا أعبدهما ! على أن أبا نواس رغم ذلك إنما سَفَل عمَّن تقدمه من الشعراء وعلا عمن عاصره ، وهذا يكفيه » .

وكان ابن الاعرابى يقول « ما يمنعنا من رواية شعر أبى نواس الا تبذله وسخفه » — وكان أبو عمر الشيبانى الكوفى يقول « أشعر الناس فى وصف الخمر ثلاثة : الأعشى والأخطل وأبو نواس » .

وكان أبو عبيدة يقول : « أبو نواس للمحدثين مثل امرىء القيس للمتقدِّمين ، وشعره عشرة أنواع ، وهو مجيد فى الكل . ومازال العلماء والأشراف يروون شعره ويتفكهون به ويفضلونه على أشعار القدماء[2] » .

وقال أبو عمرو الشيبانى : « لولا أن أبا نواس أفسد شعره بهذه الأقذار — يعنى الخمور — لاحتججنا به لأنه كان محكم القول لا يخطىء » .

وكان أبو نواس لا يقول الشعر الا اذا كان فى بستان مونق وعلى حال يرتضيها ، إما من صلة وُصل بها أو وعد بصلة ، وكان لا يرضى عن الشعر الذى يقوله فى غير ذلك

---

(١) كان أبو نواس قد نظم القصيد قبل هذا والذى فى (وفيَّات الأعيان) و (عيون الأخبار) أن أول شعر قاله أبو نواس كان عند ما قدم بغداد مع والبة ابن الحباب وهو :

حاملُ الهوى تعبُ يستخفه الطربُ
إنْ بكى يحقُّ له ليس ما به تعبُ
تضحكين لاهيةً والمحبُّ ينتحبُ
تعجبين من سقمى صحتى هى العجبُ !
كلما انتفى سببٌ منك جاءنى سببُ

وإن كان ابن منظور ساق قصيدا اخر ، ولكن هذا أصحّ على التحقيق .

(٢) الخزانة للبغدادى ص ٢٣٨ ج ١ — راجع أيضاً أعلام الكلام لابن شرف القيروانى ص ٢٣ فستجد به رأياً عن صاحبنا لا بأس من الاطلاع عليه .

والواقع أن أبا نواس لم ينظم شعر الخمر الا وقت نشاطه ، وكان يعمل القصيدة ويتركها أياماً ثم يعرضها ثانيـة على نفسه فيسقط منها أغلبهـا ويترك صافيها ، ولذا كان شعره على البديهة ليس بالجيـد ولا بالدون ، ولم يكن فى نظم الشعر بالبطىء ، وما كان كذلك بالسريع بل كان وسطاً فى كل شىء . وكان يقول عن نفسه : أشعارى فى الخمر لم يُقـَلْ مثلها ، وأشعارى فى الغزل فوق أشعار الناس وهما أجود شعرى ، إن لم يزاحم غزلى ما قلته فى الطرد . رأيت اذاً أبا نواس يشهد لشعره فى الخمر بالسبق على قصيده كله ، ولك أن تعرف أيضاً أنه انفرد دون العباسيين بالحديث عنها ووصفها . وسترى أنه أسرف فى ذلك اسرافاً دفعه الى الاجادة فى هذا الضرب من القصيد ، ومن جيده :

فقلت لشيخ منهم متكلم — له دينُ قسيس وفى نطقه كفرُ
أعندك بِكرٌ مُرَّةُ الطعم قرقفٌ — صنيعة دهقان تراخى له العمرُ ؟
فقال : عروس كان كسرى ربيبها — معتقة من دونها الباب والسترُ !

وله فى وصفها أيضاً وهذى كسابقتها من شعره عند ما تعاجم :

تدار علينا الراح فى عسجدية — حبتها بأنواع التصاوير فارسُ
قرارتها كسرى وفى جنباتهـا — مها تدّريها بالقسىّ الفوارسُ
فللخمرِ ما زرّت عليه جيوبهم — وللماء ما دارت عليه القلانسُ

وكان الرجل قد تحسس لوم الناس ، فأكثر من ذكر اللوام وتعنيفهـم والدفاع عن شعره ، قال :

لائمى فى المدام غير نصوحِ — لا تلمنى على شقيقة روحى !
لا تلمنى على التى فتنتنى — وأرتنى القبيحَ غيرَ قبيحِ !
قهوة تترك الصحيح سقيماً — وتعير السقيمَ ثوبَ الصحيحِ
إنّ بذلى لهـا لبذلُ جوادٍ — واقتنائى لهـا اقتناء شحيحِ

ومن جيّـد قوله على ما رواه يحيى بن زكريا :

لا تخشعنّ لطارق الحـدثانِ — وادفع همومك بالشرابِ القانى
أوَ مَا ترى أيدى السحائب رقّشت — حلل الثرى ببدائعِ الريحانِ

وفى ختامها يقول :

فاذا الهمومُ تعاورتك فسلِّها بالراح والريحان والندمان (١)

ثم نهى أبونواس عن ذكر الخمر وشربها . نهاه الرشيد فلم يقلع ، ونهاه الامين وتوعّده ، وكان الأمين قد ضاق بمجونه ذرعاً لأن الناس يحسبونه فى حاشيته ويعدّونه من المقربين لديه ، ولكن كانت (الخمريات) أول ما تفنن فيه صاحبنا وكان قد أكثر من ذكرها والحنين اليها ، وجاء هذا الوعيد وخشى صاحبنا أن يناله الجزاء ولكنه لم يستطع الانصراف عن ذكرها جملة ، فجاء بها على هامش ترديده لهذا الوعيد . وسترى فى هذا جديداً فى شعر الرجل ، وتحس شيئاً من حنينه عند ما يقول إن أكبر ما يتوق اليه أن يراها وأن يشم نسيمها إن هى دارت ، وستراه يشبه نفسه بالرجل الذى يأبى الشىء ومع ذلك يستحسنه لسواه ويجلس للتحكيم فى ذلك ، قال :

أيها الرائحان باللوم لوما لا أذوق المدام إلاّ شميما

نالنى بالمدام فيها إمامٌ لا أرى لى خلافه مستقيما

فاصرفاها الى سوايَ فانى لستُ الا على الحديث نديما

كبر حظى منها إذا هى دارت أن أراها وأن أشم النسيما

فكأنى وما أزين منها قعدىٌّ يزيِّنُ التحكيما

كلّ عن حمله السلاح الى الحرب فأوصى المطيق أن لا يقيما

وكان المجون ـ كما قدمت لك ـ يشغل الجانب الأكبر من حياته ، واضطر صاحبنا لمجونه أن ينقل صفات الأنثى فى الغزل الى المذكر فخرج بذلك عما ألفه العرب ، واستنّ سنة جديدة للشعراء الذين تبعوه ، إذ أرغموا ارغاماً على أن يمزجوا شعرهم بالكثير من إسفافه وضروب مجونه ، وأنا مرغم كما حدثتك على أن أسوق لك أمثلة من قوله ، ولا أستطيع أن أسقط هذا الضرب من شعره ، ولكن لك علىّ أن أتعفف فى اختياره ، واسمعه يقول :

---

(١) تجد فى كتاب ابن منظور ص ٢٠٣ وما بعدها نماذج كثيرة من شعره فى وصف الأشربة وآداب المنادمة إن أردت مزيداً .

مَن كان تُعجبه الأنثى ويعجبها ... مِن الرجال فاني شفَّنى الذكَرُ
فوق الخماسى لما طرّ شاربه ... رخص البنان خلامن جلده الشعَرُ

ومن جيِّده أيضاً :

وعاذلةٍ تلوم على اصطفائى ... غلاماً واضحاً مثل المهاةِ
وقالت : قد حُرمتَ ولم توفّق ... لطيبِ هوى وصال الغانياتِ
فقلت لها : جهلت فليس مثلى ... يخادع نفسَه بالترّهاتِ
دعينى لا تلومينى فانى ... على ما تكرهين الى المماتِ
بذا أوصى كتابُ الله فينا ... بتفضيل البنين على البناتِ !

ولكن هل نسى أبونواس الأنثى ؟ لا ! وما أظننا نستطيع أن نغفل حبه (لجنان) ولا غرامه (بنرجس) وقد قال فيها :

يا قمراً فى السماء مسكنه ... ونرجس الارض فى البساتينِ
يا ياسميناً بالمسك مختلطاً ... يا جلّناراً فى طِيب نسرينِ
خُلقت من مسكة مزعفرةٍ ... أشبه شىء بالخرّد العِينِ

وقد تدفع هذا بالعاطفة، ولكن خذ مثلا أيضاً من صناعته فى حديثه عن الانثى:

قالوا : عشقتَ ا صغيرة فأجبتهم ... أشهى المطىّ الىَّ ما لم يركبِ
كم بين حبّة لؤلؤٍ منقوبةٍ ... نُظمتْ وحبة لؤلؤ لم تنقبِ

وشعر أبى نواس فى حب النساء والتوله بالغلمان كثير، تجده فى كتاب ابن منظور المصرى صاحب «لسان العرب»، وقد ساقه صاحبنا دون أن يبوبه حتى لا يقتطع منه أو يفصل الكتاب دونه .

واتصل أبو نواس بالرشيد للسمر والحديث ثم انقلب منه الى منادمة الأمين فنادمه وبقى فى صحبته حتى ولى العرش ، فأباح دمه مرة وحبسه أخرى فاستجار بالمأمون وهو فى سجنه ولكن المأمون لم يدركه ، ومن هنا تدرك أن أبا نواس عرف أيام الرشيد ومات قبل أن يلى الأمر المأمون ، وفى هذه الفترة من أيام العباسيين نبه شأنه فكان شعره بما فيه من مجون وعبث مرآتها : تشبيب بالجوارى

والغلمان ، ولغز بالشعر فى المحصنات ، واستهتار فى الشهوات مع العمل للوصول اليها من أى سبيل .

وفى هذه الفترة أيضاً كانت ثورة أبى نواس على عرب البصرة واليمنيين وهجو هاشم بن حديج . قال يهجو عرب البصرة :

ألا كل بصرىٍّ يرى انما العُلى ... مُكحَّلةٌ سُحْقٌ لهن جَرينُ

فان تغرسوا نخلاً فان غِراسَنا ... ضِرابٌ وطعنٌ فى النُّحور سخينُ

فإن أك بصرياً فان مهاجرى ... دِمَشْقُ ولكنَّ الحديثَ فنونُ

مجاورُ قومٍ ليس بينى وبينهم ... أواصرُ الاَّ دعوةٌ وظنونُ

وقال يهجو اليمنيين وهاشم بن حديج :

ما منك سلمى ولا أطلالها الدُّرُسُ ... ولانواطقُ من طيرٍ ولا خُرُسُ

يا هاشم بن حديج لو عددت أبا ... مثل القلمس(١) لم يعلق بك الدنسُ

إذ صبح الملك النعمان وافده ... ومن قضاعة أسرى عنده حبسُ

فابتاعهم بأخاء الدهر ما عمروا ... فلم ينل مثلها من مثلهم أنسُ

أو رحت مثل حُوَىٍّ فى مكارمه ... هيهات منك حُوَىٌّ حين يلتمسُ

وكان أبو نواس قد قدم النزارية هنا ، ولكنه سرعان ما انقلب على النزارية عند ما هجاه ابن قنبر المازنى ، وندم على هجاء اليمن واعتذر الى هاشم بن حديج من هجائه ومدح اليمن فقال :

أهاشم خذ منى رضاكَ وإن أبى ... رضاكَ على نفسى فغير مَلومِ

فأقسم ما جاوزت بالشتم والدى ... وعرضى ، وما مزقت غير أديمى

---

(١) القلمس أحد بنى كنانة نسَّاء مشهور ، وكان يقف عند جمرة العقبة ويقول : اللهم انى ناسىء الشهور وواضعها مواضعها ولا أعاب ولا أجاب ؟ ! اللهم انى قد أحللت أحد الصفرين وحرمت صفر الآخر ، وكذلك فى الرجبين (يعنى رجب وشعبان) انفروا على اسم الله تعالى . قال تعالى : « انما النسىء زيادة فى الكفر » . راجع القاموس مادة قلمس .

الى أن قال :

وإن امرأً أغضَى على مثل زلّتي وإن جرحت فيه الجدُّ حليم
تطاول فوق الناس حتى كأنما يرون به نجماً أمام نجوم
إذا امتازت الاحساب يوماً بأهلها أناخ الى عاديّةٍ وصميم
الى كلّ معصوب به التاج مِقْوَلٍ إليه أيادى عامرٍ وتميم

وأبدع ما كتب أبو نواس – اذا جاز لنا أن نترك الى حين شعره فى وصف الخمر – شعر النسيب ، واستشهد ابن رشيق صاحب (العمدة) بكثير من شعر أبى نواس عند الحديث عن هذا الضرب من القصيد فى كتابه . وقد روى أن جماعة من الكتاب وردوا على العتابى وهو بحلب وفى يده رقعة قد أطال فيها النظر والتأمل فقال: أرأيتم الرقعة التى كانت فى يدى ؟ قالوا نعم ! قال : لقد سلك صاحبها وادياً ما سلكه غيره فلله دره وكان فى الرقعة قول أبى نواس :

رسم الكرى بين الجفون محيلُ عفّى عليه بكاً عليك طويلُ
يا ناظراً ما أقلعت لحظاتُه حتى تشحط بينهن قتيلُ (١)

وكان أكثر ما كتبه أبونواس من الغزل تشبيبه بجنان جارية آل عبدالوهاب بن عبدالمجيد الثقفى وهو لا يعرفها عند ما مرت به وهو جالس فى المربد ينشد الشعر . ثم عرفها وعاشر الثقفيين من أجلها وراسلها حيناً طويلا وهى تردّ رسله بالسبّ . وامتنعت عنه حيناً طويلا ثم رقّ قلبها عليه يوم أن شكته لسيدها فسبه وشكاه الى بعض اخوانه خشية أن يهجوه ، ولكن صاحبنا كان قد توله بحبّ جاريته فقال :

من سبنى من ثقيف فإننى لن أسبه
أبحتُ عرضى ثقيفاً ولطم خدى وضربه
وكيف ينكر هذا وفيهمو لى أحبّه

وله فيها أيام امتناعها عن مراسلته والانصات لحبه :

يا ذا الذى عن جنان ظلّ يخبرني بالله قل واعتبر يا طيبَ الخبرِ
قال : اشتكت ثم قالت ما بليت به أراه من حيثما أقبلت فى أثرى

(١) العمدة ج ٢ ص ٩٦ .

ويعمل الطرف نحوى إن مررت به حتى ليخجلنى من حدّة النظر
وإن وقفت له كيما يكلمنى فى الموضع الخلو لم ينطق من الحصر
ما زال يفعل بى هذا ويدمنه حتى لقد صار من همى ومن وطرى

وقيل له يوماً إن جناناً قد عزمت على الحج . قال : أما والله ما يفوتنى الحج والمسير عنها ، ثم سبقها إلى الخروج بعد أن علم أنها خارجه . ولما عاد قال :

ألم ترنى وقد أفنيت عمرى بمطلبها ومطلبها عسيرُ
فلما لم أجد سبباً لديها يقربنى وأعيتنى الأمورُ
حججت وقلت قد حجت جنان فيجمعنى وإياها المسيرُ !

* * *

وكان من الضرورى أيضاً أن يسلك أبو نواس هذا الضرب من القصيد الذى يفتقر اليه شاعر يتكسب بالشعر . بل كان بحكم انصرافه الى المنادمة والسمر مرغماً على أن يكثر القصيد فى مديح الأمراء والولاة وأن يتفنن بالتبعية لهذه الكثرة .

كان ابن الاعرابى يقول إن مديح أبى نواس جيد يطرب ، وأمدح بيت لمولد قوله :

تغطيت من دهرى بظل جناحه فعينى ترى دهرى وليس يرانى
فلو تسأل الايامُ ما اسمى لما درت وأين مكانى ، ما عرفن مكانى !

وقد ذهب أبو نواس فى هذا مذهباً لطيفاً يخرج له فيه بعض العذر والتأويل ، والاّ لو نوقش على أساس ما ورد فى بعض النسخ (فلو تسأل الأيام عنى ما درت) لما كان فى وصف الخمول أشد مما وصف نفسه به !

ومن جيد شعره فى المديح :

تقول غداة البين احدى نسائهم لىَ الكبد الحرى فسر ولك الصبرُ
وقد خضبتها عبرة فلدمعها على خدها خدٌّ وفى نحرها نحرُ
وقالت : الى العباس ! قلت : فمن اذاً وما لى عن العباس معدى ولا حصرُ
فهل يكفلن الا براحته الندى وهل يزهون الا بأوصافه الشكرُ ؟

وقال فى مدح الأمين من قصيدته الميمية :

واذا المطىُّ بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرامُ

وهذا لعمرك غاية المديح .

وقد سلك أبو نواس سبيل المتقدمين فى بدء قصائد المديح بالغزل ، وقد نجح مراراً فى التخلص من الغزل الى المديح رغم صعوبة هـذا ، وترى هنا مثـلا منه فى قصيدته التى مدح بها الخصيب ، فقال بعد أن أكثر من الغزل :

تقول التى من بيتها خفَّ مركبى عزيزٌ علينـا أن نراك تسيرُ
أما دون مصر للغنى متطلب بلى ، ان أسباب الغنى لكثيرُ
ذرينى أكثر حاسديك برحلة الى بلد فيها الخصيبُ أميرُ

رأيت الى هنا أمثلة من وصفه للخمر وتغزله بالصبيان والجوارى ، ورأيت قطعاً من مديحه ، وقد تريد أن تسمع شيئاً من هجائه . أجل قد هجا أبونواس — هجا جنان وهجته ، وهجا اليمن وهجا النزاريين وهجا هاشم بن حـديج . ولـكن له غير هذا كثير أغلبه مملول . ولـكن خذ مثلاً هنا من تهكمه بالرقاشى ، قال :

شرابك فى السراب اذا عطشنا وخبزك عنـد منقطع التراب
وما روّضتنا لتذبَّ عنـا ولـكن خفت مرزبة الذباب

وكان هارون الرشيد يضحك كلما سمع هذا ويقول ماهجا أعرابى ولا مولد بأحسن من هذا !

والحقيقة أن أبا نواس نجح على أساس استحداثه للمعانى ، وقد ذكر المبرد بضعاً من قصائده لم يسبقه الى توليد معانيها شاعر ، منها :

أيهـا الرائحان باللوم لوما لا أذوق المـدام إلا شميما

ومنها :

بفينا على كسرى سمـاء مدامة مـكللة حافاتهـا بنجوم

ومنها :

لست أدرى أطال ليلى أم لا ؟! كيف يدرى بذاك مَن يَتقلى ؟!
لو تفرغت لاستطالة ليلى وترعّى النجوم كنت مخلا

وكان أبو نواس كذلك قد أحسن فى ابتداء كثير من قصائده . ويروى ابن رشيق فى العمدة مجموعة طيبة من شعره كأمثال على حُسن الابتداء منها :

رسمُ الكرى بين الجفون محيلُ عفَّى عليه بُكاً عليك طويلُ

وقوله :

دع عنك لومى فان اللوم إغراءُ وداونى بالتى كانت هى الداءُ

ولكن أبا نواس كان يفقد تقديره أحياناً فتخرج قصيدته قوية قد أفرغ جهده فى تنميقها ونسى أو تغافل عن بدايتها فتجىء مليئة بالتشاؤم والتطير . ومما يروى أن بعض بنى برمك بنى داراً جديدة واستفرغ فيها مجهوده ثم انتقل اليها وجاءه الشعراء يهنئونه وكان بينهم أبو نواس فقال قصيدته التى مطلعها :

أرْبَعَ البلا ! إن الخشوع لبادِ عليك ، وانى لم أخنك ودادى

وختمها أو كاد بقوله :

سلامٌ على الدنيا إذا ما فقدتمُ بنى برمكٍ من رائحين وغادى

أراد أن يمدح فهجا ، ودخل ليسر فشجى ، وليس فى هذا حسن ابتداء ولا جمال ختام بل تشاؤم وطيرة ، وخاصة لأنه ما كانت الا فترة حتى أوقع الرشيد بالبرامكة !

ومن سوء ابتدائه أيضاً مطلع قصيدته التى مدح بها الأمين فقال :

يا دارُ ما فعلت بك الأيامُ؟ لم تبق فيك بشاشة تُستامُ !

وافتتاح المديح بذكر الديار ودثورها مما يتطير منه لاسيما فى مواجهة الخلفاء والملوك ولهذا يختار فى ذكر الأماكن والمنازل ما رقَّ لفظه وحسن النطق به .

رأيت الى هنا كثيراً من نواحى حياة شاعرنا : سمعته يصف الخمر ويحنّ اليها ويرددها وهو يذكر وعيد الأمين إذ نهاه عن شربها ؛ وقرأت معى كثيراً من شعره فى المديح والغزل والهجاء ، ورفعت معه علم الثورة ضد اليمنيين ثم نكصت معه على عقبيك وهو يمدح هاشم بن حديج ويعتذر عن هجائه لليمنيين . ولكن بقيت ناحية من حياة شاعرنا قد يكون لها أثر كبير فى شعره ، وبقيت كذلك ناحية من قصيدة لها قيمتها عند بحث هذا القصيد والحديث عنه .. اما ناحية حياته فهى مجونه وأقاصيص هذا المجون كثيرة ، ولكن الناس أسرفوا فيها إسرافاً وأضافوا

اليها من نأى ليفهم الكثير المبتذل . أجل كان صاحبنا سكيرا يشرب الخمر ويتغزل في الصبيان ويتكسب بالشعر ، ولكن هل كان هو كما صوروه في تلك الأوراق الصفراء والخضراء التي يقرأها العامة اليوم ويتفكهون بها في مجالس السرور ؟ لا لا ! وانما كان هذا من نتائج اسراف الرجل في الاستهتار ، ثم كانت الفترة التي سبقت عصر النهضة الأخيرة في اللغة وضعف الانتاج الأدبي ورأى البعض اقبال الناس على سماع المجون وروايته وترديده فأضافوا الى شعر صاحبنا الكثير من الهزل وأسرفوا في صوغ الأقاصيص الماجنة الساخرة ! وهذه ناحية مفروغ منها ولا محل لها في هذه الصفحات .

أما الناحية الأخرى من شعره فهي شعر التوبة عند ما رمي بالزندقة وشعر الزهد عند ما حسنت توبته وصدقت : فقد رمي صاحبنا بالزندقة أيام الرشيد ثم ولي الأمر الأمين فاتهمه الناس بها ، وحبسه الأمين لشربه الخمر علانية ثم أطلقه من سجنه بعد شهور ثلاثة ، ولكن الناس عادوا للحملة عليه واتهامه بالكفر فقبض عليه وجيء به الى الأمين فأنشد صاحبنا على البديهة :

أصلي صلاة الخمس في حين وقتها ... وأشهد بالتوحيد لله خاضعاً

فأطلق الأمين سراحه ، ثم رمي به مرة أخرى وكادت تذهب به هذه المرة فقال لمن أمسكوا به بين السيف والنطع دعوني أصلي ركعتين ، فأفرجوا عنه فتهيأ للصلاة ثم رفع رأسه الى السماء وصلى ركعتين وقال :

سبحان من خلق الخـ ... ـلق من ضعيف مهين
فساقه من قرار ... الى قرار مكين
في الحجب شيئاً شيئاً ... تحار دون العيون
حتى بدت حركات ... مخلوقة من سكون

فقال الأمين : ما هذا زنديق ! اعطوه ألف درهم واخلعوا عليه ! فأعطوه وخلعوا عليه ! والواقع أن أبا نواس قد أفلح أكثر من مرة في الفكاك من الموت ، على انه لم يكن زنديقاً ولا متشككاً ، وانما هو رجل أفرط في اللهو واستطابه في عصر أطلقت فيه الشهوات للناس إن سراً وإن علانية ، فتابع القوم في غيهم ثم بزّهم ، فكان مجمل رأيه في الحياة ما جاء في قوله :

تكثر ما استطعتَ من الخطايا فانك بالغٌ رباً غفورا
ستبصر إن وردت عليه عفواً وتلقى سيداً ملكاً كبيرا
تعضّ ندامةً كفيك مما تركت – مخافة النار – السرورا

وتجد فى ذلك شيئاً لم تعد نفسك لسماعه . فالرجل حقاً قد أسرف فى المجون ولكنه لم يتشكك ولم يتابع معاصريه من الفلاسفة بل بقى مؤمناً يلهو إلى أن أحسّ بالندم فتاب وتجد اعترافه بالذنوب والآثام واضحاً فى قوله :

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمت سرح الحظ حين أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤٌ بشبابه فاذا عصارة كل ذاك أثامُ !

وترى توبته ستجد رجلاً يطمع فى الغفران ويرجوه :

أقلنى قد ندمت على الذنوب وبالاقرار عذت من الجحود
أنا استهديت عفوك من قريب كما استعفيت سخطك من بعيد

وأرغم أبو نواس عند ما انصرف عن اللهو وتاب عن المجون على أن ينظم الشعر فى الزهد ، وقد أعجب المأمون بشعره فى وصف الدنيا حتى روى ابن منظور أن المأمون كان يقول لو سئلت الدنيا عن نفسها فنطقت لما وصفت نفسها كما وصفها أبو نواس فى قوله :

ألا كلّ حى هالكٌ وابنُ هالك وذو نسبٍ فى الهالكين عريقِ
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدوٍّ فى ثياب صديقِ

وشعر الزهد حجر الزاوية فى قصيد أبى نواس ، وكان أبو العتاهية يقول : سبقنى أبو نواس الى ثلاثة أبيات وددت أنى سبقته اليها بكل ما قلته فانه أشعر الناس فيها ! ومنها قوله :

يا كبيرَ الذنب عفو الـله مِن ذنبك أكبرْ

وقوله :

مَن لم يكن لله متهماً لم يمس محتاجاً إلى أحدِ

وقوله :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفتْ له عن عدوٍّ فى ثيابِ صديقِ

ثم قال : قلت فى الزهد ستة عشر ألف بيت ، وددت أن أبا نواس له ثلثها بهذه الأبيات .

واجتمع أبو العتاهية وأبو نواس عند اسحاق بن ابراهيم بن ميمون فقال له : كيف قلت فى اعتذارك الى الرشيد ومدحك الفضل بن الربيع فأنشده الشعر الذى يقول فيه (١) :

ما من يدٍ فى الناس واحدة   الا أبو العباس مولاها

قد كنتُ خفتك ثم أمننى   من أن أخافك خوفك اللهَ !

رأيت الى هنا نماذج من شعر صاحبنا ، حدثتك بالجيد من شعره وبقى أن تعرف اراء النقاد فيه . ففى بعض نسيبه خشونة . كما فى قصيدته التى مدح بها الخصيب أمير مصر :

أجارةَ بيتينا أبوك غيورُ   وميسور ما يُرجى لديك عسيرُ

فان كنتِ لا خلاً ولا أنت زوجة   فلا برحت منا عليك ستورُ

وجاورت قوماً لا تزاور بينهم   ولا قرب إلا أن يكون نشورُ

وقد قال أبو عبيدالله محمد بن شرف القيروانى (٢) لم أسمع بأوحش من هذا التشبيب وذلك قوله إن لم تكونى لى زوجة ولاصديقة فلا برحت منا ستور التراب عليك ولا كان جارك ما عشنا نحن الا الموتى الذين لا يتزاورون ولا يتواصلون الى يوم النشور .

والغريب أن أبانواس مع كثرة المعانى التى استحدثها لم يترك معنى سبقه اليه معاصرٌ الا أخذه عنه . قال أبو الشيص :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لى   متأخرٌ عنه ولا متقدمُ

فقال هو :

فما جازه جود ولا حلَّ دونه   ولكن يسير الجود حيث يسيرُ

والغريب أن أبا نواس رغم نضال أصحابه عنه من أجل هذا البيت كان يقول : (ما زلت أحسد أبا الشيص على هذا البيت حتى أخذته منه (٣)) .

---

(١) ابن منظور ص ٦٧ (٢) أعلام الكلام ص ٤١ (٣) أعلام الكلام ص ٤٢

ويزعم البعض أنه أخذ قوله « وداونى بالتى كانت هى الداء » من قول الأعشى « وأخرى تداويت منها بها » وقوله « إن الشباب مطية الجهل » من قول النابغة « فان مطية الجهل الشباب » !

وفى شعر أبى نواس أيضاً بضعُ سقطات لغوية . خذ مثلاً منها وصفه للخمر :

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباءُ درٍّ على أرضٍ من الذهب

والخطأ واضح لا غموض فيه لأن قول صغرى وكبرى غير جائز فان فعلى أفعل لا يجوز فيها حذف الألف واللام منها ، وانما يجوز حذفهما من فعلى التى لا أفعل لها نحو حبلى الا أن تكون فعلى أفعل مضافة وهى هنا قد عربت عن الاضافة .

هذا هو شاعرنا على علاته . نشأ فى ضحى أيام العباسيين وصحب أيامهم وشمسهم فى الذروة ، عاشر الرشيد حتى قربه اليه وأدناه منه ، عرفه للسمر والحديث وأدناه منه للشعر والأدب ، ثم صحب الأمين وعاش مقرباً منه كما كان فى أيام أبيه . وجاء وسوق الأدب قائمة فزاد من نهضتها وأعلى قبابها . وعاش فى بغداد والناس فيها يجمعهم اللهو وتربط بينهم الصداقة أواصر المجون ، فاسترسل معهم مستسلماً إلى شهواته كما استسلموا . ثم عافت نفسه وقد حانت منيته هاته الشهوات واللذّات فرجع إلى ربه . تحسر وبكى ، وانطلق لسانه بالندم والتوبة وطلب الغفران ، نسك وتعبد ونطق بالحكمة ، ولكن كان الأجل المحتوم قد شارف على الوصول اليه فقضى نحبه على ما قيل سنة ست وتسعين ومائة وكان عمره وقتذاك تسعاً وخمسين سنة وأسدلت الستار على حياته الحافلة بمتباين النزعات ونسيه من أعجبوا به ، وإن كان معاصروه قد اغتصبوا أغلب تركته . . وترك ديوانه نهباً حتى وصلت يد الضياع الى الكثير منه . ومات الرجل وكأنه لم يكن ، وكان أحقّ بأن يكتب أصحابه على قبره ما رثى هو به محمد الأمين[1] .

وكنت عليه أحذر الموت وحده فلم يبق لى شىء عليه أحاذره !

---

(١) هذا على زعم أنه مات بعد وفاة الأمين بسنة وهو رأى حمزة الأصبهانى جامع ديوانه ، ولكن فى ابن خلكان أنه مات سنة ست وتسعين ومائة وهذا ما أخذنا به ، ولذا تكون قصيدته هذى فى رثاء شخص آخر غير محمد الأمين — راجع الوسيط ص ٢٥٧ ، ابن منظور ص ٧٠ ، ابن خلكان ص ١٦٨

مراجع البحث

وفيـّات الأعيان	لابن خلـكان
أخبار أبي نواس	لابن منظور المصرى
خزانة الأدب	للبغدادى
العمدة	للحسن بن رشيق
عيون التاريخ	لصلاح الدين بن شاكر الـكتبي
الأغانى	لأبي فرج الأصبهانى
قراضة الذهب	للحسن بن رشيق
أعلام الـكلام	لابن شَرَف القيروانى
الوسيط	للاسكندرى وعنانى
أبو نواس أخباره وشعره	لعبـّاس مصطفى عمـّار

محمد عبد الفتاح ابراهيم





يوم في سنتريس

(مهداة الى الصديق زكي مبارك ذكرى زيارتنا لسنتريس يوم الجمعة ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٣٤)

يا يومَ إيناسى الذى لم يَنْفَدِ — ما زلتَ فى خَلَدِى وإنْ لم تُخْلَدِ

بل أنتَ فى الخُلْدِ الأتمِّ مُشَعْشَعاً — فى الذكرياتِ موزَّعاً فى المَشْهدِ

نشوانُ مِنْ لُقياكَ، لم أبرحْ كما — لاقيتُ أنسكَ فى سناك السَّرْمدِى

جعلَ الصديقُ بك الضيافةَ نعمةً — لا تنتهى، ومآثراً للمقتدِى

خُلِقتْ من الاحسانِ حتى أننى — أنسيتُ ما يجنى الزمانُ المعتدِى

***

يا يومَ إيناسى الذى لم يَنْفَدِ — ما زالت فى خَلَدِى وإنْ لم تُخْلَدِ

جئناكَ أشباهَ العُفاةِ هوايةً — للحسنِ، لا كالبائسين القُصَّدِ

فاذاه (١) يُنْهَلُ فيكَ بين مُذَوَّبٍ — شَبِمٍ، ويُلْمَسُ فيكَ بين مُجَسَّدِ

والحُسْنُ أكرمُ ما يكون لكارمٍ — والحسنُ أجملُ ما يكون لمجتدى

مَثلتْ معانى الصَّفْوِ فى قسماتِه — وجرَى الهوى جرْيَ المعانى الشُّرَّدِ

ما نالها إلاَّ التصوُّفُ وحده — بِنُهَى الالهِ العبقرىِّ الأوحدِ

هذى (الطبيعةُ) فى جلالةِ مُلكها — إنَّ الجلالةَ بالسذاجة تبتدى

بسمت الىَّ فكان فى بسماتِها — مِنْ عالمِ المجهول آيةُ موجدِى

(١) أى الحسن .

بسمتْ ورتّلتْ الحياةُ نشيدَها — وكأنني بنشيدِها في مَعْبَدِ
أنّى التفتُّ فُتِنتُ مِنْ أطيافها — ولمحتُ ملءَ الغيبِ ما لم يُوجَدِ
وأصيخُ للذّرّةِ التي وقفتْ كما — وقَفتْ جنودُ الدّهرِ للمتمرّدِ
فتنمُّ عن أسرارهِ في صمتِها — ونحنّ مثلي للخفيّ المُبْعَدِ
وأراقبُ الريّاحَ (١) يزخرُ موجُهُ — بالذكرياتِ وبالحنينِ الى الغدِ
ونَمُرُّ في الطُّرقِ الوديعةِ صانها — مِنْ شامخِ الأشجارِ كلُّ مُجَنّدِ
والجدولُ الجاري كمرآةٍ لها — وبهِ من الآبادِ ما اشتاقتْ يدِي
غسلتْ عذارَى الريفِ جيرة شطِّه — حُللاً كأصباغِ الخريفِ العسجدِي
متضاحكاتٍ والخريرُ كأنّه — أصداء فرحتِهنَّ في الماءِ الصَّدِي(٢)
ونزورُ ساقيةَ الصّديق وعندها — للذكرياتِ مدامعٌ لم تُعْهَدِ
ونرى الصبابةَ في النواحِ وطالما — بالأمس غنتْ بالنشيدِ المُسْعِدِ
ونعصُّ مِنْ قصبٍ يطيب لنا كما — تلهو الطفولةُ في رضًى متجدّدِ
ونزورُ مِنْ تلك المنازلِ وادعاً — لكنما خلقته عِزّةُ سيّدِ
ونرى الجمالَ كأنما إفصاحُهُ — عينُ الغموضِ لباحثٍ متفقّدِ
نَدريهِ بالحسّ الخفيّ وإنْ يكنْ — ملءَ النواظر والمسامع واليدِ
نَدريهِ مِنْ رُوحِ البصيرة قبل أن — يُدْرَى بلحظِ عاشقٍ متوددِ
فاذا الجمالُ هو الحياةُ ، وسِرُّه — هَدْيُ الموفقِ أو ضلالُ المُلحِدِ
واذا الألوهةُ لا تلوحُ لجاحدٍ — وتلوح للمتلهفِ المتعبِّدِ !

***

يا يومَ إينامي الذي لم يَنْفَدِ — ما زلتَ في خلدِي وإنْ لم تُخْلَدِ
حَفلتْ بمجدِكَ (سِنتريسُ) وعيّدتْ — في كل ما يهواه قلبُ معيّدِ
قد جئتَ مِنْ وطنِ الجمالِ مفوّفاً — بأشعةٍ ومنمّقاً بزبرجدِ

---

(١) رياح المنوفية (٢) الظمآن الهين .

فاذا بأهليها غَنُوا عن كلّ ما ... يُغنى سوى شرفِ النهى والمحتِدِ
حتى النباتُ له ازدهاءُ مُسوّدٍ ... ولو انه يَلقى عناءَ مُسوّدِ
والبركةُ الخضراءُ آسِنٌ مائها ... فى عِزّةٍ مِن شوقنا المتردّدِ
ومِن الديوكِ على السطوحِ مؤذّنٌ ... وكأنما هو فى صَلاةِ المهتدى
ومِن السوائم ما يُجَلّ فتونُه ... بالمنظر الحالى وبالعُشبِ الندى
حتى رجعنا فى غِنًى لم يَنفدِ ... ملءَ العواطف والنُّهى متعدّدِ
لم نفتقده (١) وإن نكن نؤنا به ... كأحبّ ما يَطغى الهوى بعصفَدِ
سكنتْ الى الرّياحِ غيرَ أسيرةٍ ... بينا انطلقنا فى هوَى المُستعبَدِ
والليلُ كالمسحورِ حيث تُقِلُّنا ... سيّارةٌ طارتْ كطيرٍ ممرّدِ
تتراقصُ الأشباحُ فى أفيائِه ... ما بين عزّافٍ وبين مُغـــرّدِ
ومنسّقُ اللبخِ المهيبِ برهبةٍ ... هى كالتـــأمّل للأبىّ الأيّدِ
وتعودُ ألوانُ المفاتن بعْدَ ما ... ذهبَ الغروبُ بها ذهابَ مُبَدّدِ
فكأنّها بُعِثَتْ مِنَ الأبَدِ الذى ... طاحتْ اليهِ على الخيـــال المُزْبِدِ
وكأنّها غمرتْ جميعَ كياننا ... فرَجَعتُ فى حُلمى بأروعِ مُوْدَدِ
حُلمٌ طوَى صُحُفَ الدّهُورِ ولم يَدَعْ ... عنـد الطبيعةِ ما استسرّ بجَلمَدِ
أو ما تحجّبَ كالظّنُونِ بخاطرِ ... للسكونِ فى هذا الأثيرِ المُفرَدِ (٢)
حُلمٌ هُوَ الفنّ الجميلُ وإنْ يكُنْ ... إبهامَ إحساسٍ برُوحٍ مُخلّدِ
والنّاسُ تَرقبُنا فتلمح نشوةً ... كبرى فتتبعُها ظنونُ الحُسّدِ
وكأننا عُدْنا نُبشّرُ بالهوى ... والحُسْنِ فى دنيا العقُوقِ لنهتدِى

* * *

يا يومَ إينامى الذى لم يَنْفَدِ ... مازلتَ فى خَلدِى وإنْ لم تخلدا

أحمد زكى أبو شادى

(١) بريد سنتريس (٢) المفرد : المستقل المتحرر

دنيا الخيال

دَعْنى أعيشُ مع الخيالِ منعّماً ذكرى الحياةِ تَهيجُ حُلوَ منامى
وأروضُ فكرى فى سماءٍ حرّةٍ فى عالم المجهولِ والأحلامِ
وأهيمُ كالطيرِ الطليقِ محلّقاً بين الضياء ودعشةِ الأنغامِ
وأحدّثُ الزهرَ الجميلَ بفرحتى وأعُبُّ مِن وحى الجمالِ السامى
وأشاركُ الأسماكَ فى سبحاتها وأطالبُ الأفلاكَ بالإلهامِ
لا أُنسَ فى دنيا الحقيقةِ يُجتَنى والأُنسُ كلُّ الأُنسِ فى الأوهامِ

مصطفى عبد اللطيف السحرتى
(المحامى)

شاعر الريف الباكى

نعِسَ الليلُ على مَرْجِ الربيعْ وانحنى النورُ عليهِ فى خشوعْ
جِثوةُ الثكلى على الميتِ الصريعْ غمرتهُ فى دموعٍ وقُبَلْ

***

والقرى خرْساءُ فى غفوتِها تقتدى بالليل فى هجعتِها
ماتتْ الضوضاءُ فى رهبتها فهى مِنْ مقبرة الموْتى أجلّْ

***

وطيورُ الأيكِ فى أوكارها تُفعمُ الرّوحَ بباكى شِعرها
ويذوبُ اللحنُ فى قيثارها فيسودُ الصّمْتُ فيها والوجَلْ

***

رَصّعَ الطَّلُّ زهورَ الياسمينْ بنضارٍ ذابَ فى بحرِ السكونْ
فبدَتْ تختالُ بين الهامدينْ كاختيالِ الراشفِ الكرْمِ الثمِلْ

***

والفتى الشاعرُ فى جَفنِ الظلامْ دمعةٌ حَيرى على بؤس الأنامْ
قام يبكى والورَى طراً نيامْ بعصاراتِ الفؤادِ المندملْ

***

راعـهُ اليأسُ، وأضناه الأمـلْ وهْوَ فى ريعانه لمَّا يَزَلْ
والمنى واليأسُ كم لا تُحتملْ ! رحمة الله عليهِ تنهملْ

***

نظرَ الشاعرُ فيما حَوْلَـهُ علـه يمحو الأسى أو علـهُ !
فمحا ماحى الأسَى آمالهُ ! وطغى اليأسُ عليـه فاسْتهلْ (١)

***

أنشأ البُلْبُـلْ يشدو ويَنُوحْ والفتى الشاعرُ يبـكى ويصيحْ
هـكذا كلٌّ له قلبٌ جـريحْ وله فى عَـيْشِهِ خَطْبٌ جَلَـلْ

***

إيهِ ياليلُ ! ترفَّق إنَّ لكْ فى صميم القلب عرشاً جلَّـلَـك
أنقذ الشاعرَ مِن ذا المعتركْ حَسْبُهُ ياليْلُ هَمّـاً لا تُطِـلْ !

***

أنصتَ الليْلُ لشـكوى الشاعرِ وصداها فى لهـاة الطائرِ
وهْوَ فى حُلمٍ عميقٍ غائرِ فأطارَ النَّوْمَ عنه (٢) والملَلْ

***

أيقظ الدِّيكُ نسيماتِ السَّحَرْ فسرتْ تلْهُو على ضوء القمرْ
ثم مرَّتْ فوق أغصان الشَّجَرْ فتأوَّدْن لها كالمبتهـلْ

***

وترامي البَدْرُ فى غَرْبِ الافُقْ وهو كالميْتِ شُحوباً والشفقْ

---

(١) استهلَّ الطفل : بكى صارخاً (٢) الضمير يعود على الليل : أى أطارَ الليل عن نفسه الملل والنوم .

بعْدَ ما تمَّ جمالاً واتَّسق • فانبرى الفجرُ وضيئاً كالأملْ

* * *

هتفَ الداعى لتمجيدِ الالَهْ • فـنِىَ الليلُ فهبُّوا للصلاهْ
وأنابَ الطيرَ عنهُ فى الفلاهْ • فأُزيل النَّومُ عن كلِّ المُقَلْ

* * *

أيُّهذا الصارخُ الباكى كفى • عبراتٍ مُلْهِبَاتٍ وُكَّفا
ها هُوَ الليل فضَى إلاَّ شفا • فادفعْ الأوْهامَ دفعاً والعِلَلْ!

* * *

حَطِّمْ النَّاىَ الحزينَ الباكيا • وانشد اللحنَ طروباً صافيا
وانهل الحبَّ رُضاباً شافيا • فكأىٍّ مِن شجٍ منه أبَلّْ

عبد العظيم بدوى

القمر فى الصباح

أراكَ الآن مكتئباً • حزيناً أيها القمرُ
وحيداً بائساً قلقاً • إلى الاشفاقِ تفتقرُ
تناجى ملكك الماضى • وتشكو ما جنى القدرُ
بصوتٍ صامتٍ خافٍ • ونفسٍ همها الضجرُ
وترنو كاسفَ البال • بعين خانها النظرُ
الى الاصباح منبثقاً • ونورُ الشمس ينتشرُ
وتمشى ساهماً وجلاً • الى الأعماقِ تنحدرُ

* * *

تأمَّلْ! هل ترى أحداً • هداه نحوكَ البصرُ؟
فنورُك قد غدا أثراً • وسِحْرُكَ ما له أثرُ

وهذا ضوؤك الضافى ضباباً راح ينـدثرُ
وبات أشعةً ماتت وأمست مالهـا خطرُ
وهذا الطلّ منتثراً على الأوراقِ يحتضرُ
دمـوعٌ أنت تذرفهـا على ماضيك يا قمرُ !

احمد محمد ابراهيم نار

أناشيد السواقى

لحنُ السواقِ فى الحقول كأنما هو آهةُ الولهـان مِن أحزانه
نفثاتُ مشتاقٍ يئنُ صـبابةً مِن فرط لوعته ومِن أشجانه
شهدتْ محاسنَ ذا الربيع فعادها شغفٌ إلى الرشفات من وجدانه
وتذكرت عهداً قضتْه ونضرةً وتذكرت عهدَ الصبا بجنانه
فبكت على الماضى النضيرِ وعهده والزهرُ يكسوها بعقد جمانه
ناحتْ لتروى مِن مدامعها الحقو لَ وترضع الريحانَ فى بستانه
قيثارةُ الريف استحال نشيدُها أحلامَ وسنانٍ بغدرِ زمانه
أحلامَ وسنانٍ بطيفٍ مرعبٍ هدمَ السكرى وطغى على ألحانه
قيثارةٌ شابت وحطَّمها الضنى وعـــدا على أوتارها ببنانه
قيثـــارةٌ قد أُشعلت فدخانها ترديدُ محزونٍ صـدى وجدانه
ألحانُها عادت بخوراً مسكراً فى مأتم المصروع مِن أحزانه !

محمد رشاد راغب





السجينة

وتركتُ نفسى طعمةَ الأقدارِ ووهبتـها ما كان من أوطارى
ومشيتُ أخبط فى الشعابِ وحيدةً فى حيث تُسلمنى الى الأخطارِ
مالى ارتطمتُ بصخرها ووهادها فغدوتُ كالظبيِ الضرير السارى؟!



الآنسة جميلة محمد العلايلي

مالى شغفتُ بكلِّ ما هو متلفى شَغفَ الفراشةِ بالشعاع الوارى؟!
أسرِى ولا أدرى أسائرة إلى دنيا الظلام ، أم الظلام نهارى ؟!

***

مأوايَ ما بين الخيـالِ وتارةً بين الجمالِ على الرُّبَى المعطارِ

وبدا لىَ الوحىُ المنوّر وجهه وعليه أطيافٌ من الأسحارِ
ناديتهُ فاستوقفتنى نظرةٌ حوَتْ الفنونَ ومتعةَ الأنظارِ
وسمعتهُ والصبحُ يعدو نحوه والكونُ ملتفعٌ بثوبٍ نادى :
«أنتِ السجينةُ ! كيف ترجين الصّفا وبظلّ شعبٍ عاشَ رهنَ إسارٍ ؟
أيهونُ عندكِ أن يصوّركَ الورى فى شبهِ فاتنةٍ بغير دثارٍ ؟
تلك الحياةُ تريك طابعَ سحرها متلفعاً بالقبح والأوضارِ !
خُلقت نفوسُ الشرّ قبل زماننا يا لهفَ نفسى من دُنا الأشرارِ !
فى ظلّ سجنكِ يا صغيرةُ سجّلى صدرَ الحياةِ بريشةِ الأشعارِ
هذى هى الدنيا فعيشى بينها كيما ترين غرائبَ الأسرارِ
مَنْ نال سِرّ الغيبِ أدركَ حقَّه ولعلّ حقَّكِ ليس بالمتوارى
ولعلّ حظك سوف تُشرقُ شمسُه ما دام فى وسع القضاء الجارى ! »

***

قضت الحياةُ بأن أجىء الى الورى وقضى الورى ألاّ أقرّ بدارِ
فرغبتُ عن دنيا الأنامِ وما بها مِن كل مُنْدِيَةٍ وكلّ صَغارِ .
ومشيتُ فى دنيا الأمانى أبتغى حظّ السعيدةِ بعد طول عثارِ
فاذا الأمانىُّ العذابُ خوادعٌ واذا همومُ النفس جِدُّ كثارِ !

***

عجباً ! أأُسجن ها هنا فى قسوةٍ وسواىَ يحيا فى دُنا الأحرارِ ؟
يلهو ويمرح ما يشاء منعّماً وأنا سجينةُ هاتهِ الأغوارِ ؟ !

جميلة محمد العلايلى

ولدى .. ؟ !

رفّ فى خاطرى وذابَ بنفسى صورةً حلَّقتْ بفكرى وحِسّى
هو طفلٌ فى باطن الحسّ يلهو لم يَصِرْ بَعْدُ فى الوجودِ وُيمسى

هو وحىٌ يرفُّ فى عالم الوهم أيغـدو فى عالم الاحياء ؟
وخيالٌ يطوف بالفـكرِ ، هلاَّ سيصير الخيالُ حُـكمَ القضاء ؟
طُف بفـكرى كما تشاء ولـكنْ لا تـكنْ قطُّ فى ربوع الحياةِ
واحتجبْ فى الخفاء ! إياكَ إيا كَ وجوداً فى هذه الـكائناتِ !
أنا قد ذقتُ من حياتى شقاء وترانى به كليماً وحائرْ
ليس ما فى الوجود يرضيك... حاذرْ! لا تخاطرْ فتهبط الأرضَ... حاذرْ!
فاحتجبْ فى الخفاء يا طفلُ واعلم ان هـذى الحياةَ ناءت بشرٍّ
هـكذا نحن فى الوجود حيارَى فهنيئاً لك الخلودُ بفـكرى !

محمود السيد المصرى



مصرع الفتاة

(تزوَّج شيخُ طريقٍ بالريف فتاة من مريداته ونقلها إلى اقليمه ، فاقتحم عليها دارَها رجلٌ من أبنائه ، وقد شُغل الناس بصلاة الجمعة ، فـكمَّ فاها وأحكم غلَّها وحطم عضديْها ، ثم صبَّ عليها زيت الحجر وأشعل فيها النار ، فقتلت شر قتـلة .
وقد كان ذلك باقليم القليوبية فى يولية سنة ١٩٣٤)

متى ترقأ الأجفانُ يا دولةَ الغدرِ ؟ أما لدياجيرِ المطامع مِن فجرِ ؟
ويا نزواتِ الغىِّ ، غشَّاكِ صَيِّبٌ هو المطبقُ الرَّجَّاسُ ، ينهلُّ بالجمرِ
فـكم من نفوسٍ كالشموسِ هدايةً يسير بها فتكٌ الى ظلمةِ القبرِ
ورُبَّ كَعابٍ ليس يرحم حسنَها ولا ضعفَها ، قلبٌ أشدُّ من الصخرِ

***

ربيبةُ طُهرٍ ، صاغها الحسنُ فتنةً — كوحي خيالٍ جالَ في خاطرِ الشعرِ
تبدَّت لدى شيخ ، يصيــد بدينه — وكم من ثياب للخديعة والمكرِ
فشبَّ غرامٌ في فؤادٍ مهدَّمٍ — وعاد شبابُ الشيخ في أرذل العمرِ
ومدَّ شراكاً من أحابيل موسرٍ — ينال ثراه المال عفواً بلا عسرِ
وحسبـــك منه غزوه الدور قائداً — لجيش كثيف من دراويشه الغرِّ !
يجوس خلال الدار ، والجمعُ حوله — وكلٌّ فراشٌ حول نار ، وما يدري
إذا ما غزا داراً فويلٌ لحبها — وويلٌ لما فيها من الشاء والطير
يُسعَّرُ كانونٌ ، وتُشحذ شفرةٌ — ويقذف تنورٌ بما شئت من مَيْرٍ
ويُنحر قربانٌ ، وتُهدى موائدٌ — وتستبق الأشـداقُ في الكرِّ والفرِّ
ترى الشيخَ طعانَ الدسائع جاثمـا — وقـد خفقت من فوقه رايةُ النصرِ
فينهض مختالاً ، ويجـــأر داعياً — ويهتزّ كالمشدوهِ في حَلْقةِ الذِّكرِ
له عادةٌ قد شيَّد الجهلُ صرحها — ينال بها ما شاءَ في العسرِ واليسرِ
يسمونه شـيخَ الطريق ، وإنه — ليقطع طرقَ الله بالختلِ والختر !
يعيش بفضلِ الجهلِ جذلانَ ناعماً — ينال الغنى ، باسمِ التصوُّفِ والفقرِ

***

وما زال يغري الصيدَ حتى أصابه — وطار به من عُقر دارٍ إلى عَقرِ
تزوَّجها الشيخُ المدلُّ بنفسه — فيا لكِ من عصفورة في فم الصقرِ !
تزوَّجها رغم البنين وأمِّهم — ولم يك منهم حينذاك على ذُكرِ
فكانت بدارٍ زعزعتها عواصفٌ — من البغض والشحناء والهم والذعرِ
وليس لها في وحشةِ البين مؤنسٌ — سوى طلعةٍ للشيخ ناضبة البشرِ
ترى بغضون الشيخ أطلال هيكلٍ — ألحَّ عليـــه هادماً معولُ الدهرِ !
تَنفِحُ لها الأفعى ، وتنفث سمهـا — وتستلهم الشيطان بدعاً من النكرِ

وينـذرها الأبناء بالويل جهرةً — وأكبر مما أظهروا مضمرُ الصدرِ
وكلهمُ فى الشرّ صِلٌّ مُدَرَّبٌ — بصيرٌ بطرق المكرِ والفتكةِ البكرِ
فَعِيلَتْ فتاة الدارِ صبراً ، وشيخُها — يَئِنُّ لما يلقى من الضيمِ والقسرِ
فنضَّد أحمالا ، وأزمعَ هجرةً — وقدَّر ، والأقدارُ رغم الهوى تجرى
دعته صلاة ، فاستجاب مودّعاً — وداعَ لقاء ، لا وداعاً الى الحشرِ !

* * *

غلا مرجلٌ للغيظ فى صدرِ ضرةٍ — تقيس تراث الشيخ بالشبر والفترِ
تثور لماضٍ فاض بالشيخ أنسه — وتحذر علاتٍ ، فتحتال للبترِ
وقد حَيْعَلَ بظهر عروبةٍ — فلبى عباد الله مكتوبة الظهرِ
فشمر للجلى بنوها ، وأسرعوا — الى الجُرم إسراع الرزايا الى الحرّ
وأقبل غاويهم الى الدار طارقاً — وكان أثيماً ، دامىَ النابِ والظفرِ

* * *

خلا الجوُّ للنسل الدنىء ، ولن ترى — مطوقةً تقوى على مخلب النسرِ
هنا يقشعرُّ الجلدُ من هولِ مصرعٍ — يفتت أكباداً ، وإن كنَّ من صخرِ
لقد كمَّ فاهاً ، ثم أحكم غلها — وأمعن فى التنكيلِ والوكزِ والكسرِ
وصبَّ لعابَ الموتِ ظمآنَ صادياً — يحاول أن يشوى الجسوم وأن يفرى
وأشعل فيها النارَ ، لا عون مسعفٍ — ولا قول ، إلا قول ألسنة الجمرِ
لقد بذَّ فى اللؤم اللئامَ بأمرهم — وسجَّلَ ما تندى له أوجهُ الغدرِ !

محمد عبد الحليم العفيفى

الشكوى

أكلما لاقيتُ انساناً أراه شاكيا ؟!

يشكو مصائبَ الزمان رائحاً وغاديا

قد سَئِمَ الأسرةَ والخلانَ والنواديا

وراحَ يطلبُ الحقولَ والهواءَ الصافيا

فربما تخيَّل (النيلَ) حزيناً باكيا

فقال : ما للنهرِ فاضَ بالدُّموع جاريا ؟!

مكتئبٌ يرَى الخُطَى فى سَعيهِ تَهاويا

لا يَعرف اليُمْنَ ولا البِشرَ ولا التهانيا

ولا يَرَى شمساً ولا بدراً مُنيراً هاديا

وعينهُ كقلبهِ ترَى النهارَ داجيا

يتّهمُ الأعوامَ والأيامَ والليالِيا

والأرضَ والسماءَ والعمرانَ والبواديا

الناسُ نصفُهمْ غدا لنصفِهم أعاديا

الكلُّ مظلومٌ فمنْ يُدْعَى الظلومَ القاسيا

وقلَّ مَنْ رأيتُهُ عن الحياةِ راضيا

كأنهم قد خُلقوا ليُنشِئوا المراثيا

فى كلِّ أرضٍ نكبةٌ تستنزف المآقيا

وتترك الحلوَ مَريراً والجريح داميا

أما رأوْا طيراً على الغصن قريراً شاديا

فى عشِّهِ قد جمعَ الأقواتَ والأغانيا

مَلبَسُهُ الريفُ فما يدرى الحريرَ الغاليا

لا يَجمع الكنزَ ولا يرهبُ لصّاً عاديا

قد هجرَ الانسانَ والأوطانَ والمغانيـــا
ورضىَ البستانَ داراً ونعـــــيماً كافيـا
وعاش فى حريةٍ . . . ياليتَ مثلهـــا ليـا

***

أساكنُ الأغصانِ طيرٌ ينشدُ التآخيـا
وساكنُ البستانِ إنسٌ يخلقُ الدَّواهيـا ؟!
يا ربِّ ! مَنْ يُرْجِعُ للنَّاسِ الاخاءَ ثانيـا ؟!

الصاوى على شعلان



بين اللانهايتين

تقدمـة

كان شاعراً بائساً ، جاءه نداء الموت ، فأذعن له بعـد وداعٍ حارٍّ ، فانه وهو مشرَّدٌ فى حياته يرجو أن يبقى عليهـا لأن أمامه من الآمال والمطامع ما يساعده على ذلك .

وبعد أن يسلم روحَه يبدأ بوصف رحلته فى ركاب الموت الى « وادى الأرواح » الذى تستقرّ فيـه أرواحُ الموتى حتى يوم البعث ، ثم يرى على بعـد فى نهر أثيرىّ كروىٍّ عظيمٍ أنجماً وغيوماً فيسأل عنها الملاك فيجيبه أنها الجنة والنار .

ثم يستمرّ فى وصف ما شاهده فى « وادى الأرواح » من ملائكةٍ سحريةٍ

وأطياف جميلة . وهذه الأطيافُ هي ما يشاهد أثرها العميق في الحياة . ولكنها في هذا الوادي « وادي الأرواح » ترى بصورة مغايرة للصورة التي ترى عليها في الحياة، ثم يسمع وهو ذاهل من سحر « وادي الأرواح » صوتاً عذباً صادراً من « وادي الأعراف » فيطير وملاك الشعر اليه حيث يقف الشاعر في سوره العظيم فينظر الى أسفل ويرى زورقَ الحياة في بحر الموت الأثيري الكروي العظيم غيرَ ثابتٍ تتلاعب به الأمواجُ والأنواء .

وينظر الى يمينه فيرى الجنة وما أُعِدّ فيها من نعيم وملائكة مرحة طروبة .

وينظر إلى يساره فيرى غيماً كثيفاً يتبين منه بصعوبةٍ شياطينَ الجحيم الشريرة الخاملة ويرقب جزءاً يسيطاً مما أعدّ فيه فيبكى ، غير أن الملاك يخفف ألمه واصفاً له صقعاً آخر من أصقاع الجحيم الخسيسة .

والى هنا تنتهي مرحلة الشاعر فيهبط من « وادي الاعراف » الى « وادي الأرواح» حيث تستقرّ روحه الى يوم البعث .

« • »

القصيدة

كم تذكرتُ في الخيال غرامي ... وتخيَّلْتُ في المنامِ نعيمي
كم تناسيتُ في الخيال شكاتي ... وهمومي ، وشقوتي ، وجحيمي
كم صحبتُ الهناءَ ، لكنّ قلبي ... يشتكي الذُّلّ للعزيزِ الحكيمِ

« • »

طِرتُ في عالمِ الخيالِ لعلي ... أرقبُ الخيرَ في اطّراحِ همومي
فالبتني الأوهامُ بينا تناهي ... بيَ شوقٌ الى الخلودِ العظيمِ
أرتقي بالخيالِ في عالم المو ... تِ ، لألقى المجهولَ بينَ النجومِ

« • »

أرسَلَ البدرُ في الخيالِ شُعاعاً ... مُستخِفّاً ، وروعةً ، وجلالا
وتَهادَى بِملءِ الشُّعاعِ نداءً ... رنَّ في أُذنِ شاعرٍ ، وتَعالى

فانحنى طائفُ السماء خُشوعاً ‌ ‌ ‌ يُنشدُ الشعر للردى إجـلالا

« • »

(الشاعر مذهولا)

أرى شَبَحاً يرفُّ فخبِّرونى ‌ ‌ ‌ أهذا الموتُ ، أم هذا خيـالُ ؟!

وأسمعُ فى صميم القلب لحناً ‌ ‌ ‌ يُدَوِّى فى نواحيـهِ الجـلالُ

« • »

أرى قلبى يئنُّ ولستُ أدرى ‌ ‌ ‌ أللأحزانِ فى قلبى مَحلُّ ؟

(يتهادى رسول الموت : مجيباً الشاعر)

أفِقْ يا شاعِرَ الأهوالِ ! إنى ‌ ‌ ‌ رسولُ الموتِ، لِلفِرْدَوْسِ ظلٌّ !

« • »

(الشاعر واجماً ، يستعطف رسولَ الموت)

رفقاً بقلبى ، فانّ الذلَّ مُضنيه ‌ ‌ ‌ والهمُّ ما زال يجرى فى مجاريهِ

ماذا تحاول من قلبى وشقوتهِ ‌ ‌ ‌ أجئتَ تقتلهُ أم جئتَ تُحييهِ ؟!

إنى أحسُّ دبيباً فيـه يُرعشنى ‌ ‌ ‌ إنى أحسُّ اختلاجاً فى نواحيهِ

« • »

(رسول الموت ، داعياً الشاعر)

بنىَّ عجِّـلْ ، فانَّ البحرَ مضطربُ ‌ ‌ ‌ والريحَ قاصفةٌ والرعد مصطخبُ

غداً ستنظرُ فى وادى الردى عجباً ‌ ‌ ‌ وأنت فى الزورقِ المسحورِ ترتقبُ

« • »

(الشاعر كأنه فى حلم عميق لرسول الموت)

أهوى الحياةَ لأنى أعشق الأملا ‌ ‌ ‌ فلستُ أرضى بغير العيشِ لى بدلا

أأصحبُ الموتَ والآلامُ تركبنى ‌ ‌ ‌ حتى يقالَ ذليلٌ قد قضَى وجلا ؟

(الشاعر فى الحشرجة ، وقد أفاق صريعاً من حُلمه)

خُذ يا رسول الردى روحى لخالقها ‌ ‌ ‌ فقد رضيتُ بأن أقضى بك الأجلا

م — ٦

« ٠ »

قضيت عُمرِيَ فى لهوٍ وفى مَرَحٍ — واليومَ أسلمُ روحى متعباً جزعا

قدّمتُ قلبي لنيرِ العيش مبتهجاً — واليومَ أنهى حياتى بائساً هلعا

لله معركةٌ للموت ، قد غُلِبتْ — فيها الحياةُ ، فضاعت ، والردى التمعا

صفّوا الشموعَ على روحى لمولدها — فاليومَ أولدُ فى الفردوسِ مرتفعا

فرحمةُ اللهِ نورُ الروحِ إن بزغتْ — ورحمة الله نبراسٌ لنا سطعا

« ٠ »

(الشاعر ، وهو فى نهاية معركة الحياة والموت)

ما لى وللذكريات الآن أسردها — وقد تبعتُ حياةً كلها حلمُ ؟!

كانت حياتى بوادى العيش سخرية — لكنها عظمت ، والموتُ محتكم

فهكذا الميتُ والأحياء فى ألمٍ — فالكلُّ للذلّ والارزاء مغتنمُ !

« ٠ »

(رسول الموت فى ندائه الأخير للشاعر)

هيّا الى الركب فى صبرٍ وفى جَلدِ — وانعمْ بلذّةِ عيشٍ لم تُنلْ بيدِ

دع عنكَ ذكر جلال العيش فهو ندى — من جنّةِ الخلد لا من رقمة الكمدِ

هيّا الى الرّاحةِ الكبرى وعزّتها — وانعمْ بلذةِ عيشٍ لم تُنلْ بيدِ

(يسلم الشاعر الروح)

(يصف الشاعر فى القطعة التالية الطريق الى عالم الأرواح)

(تتراءى أشباح ويبدو آخرَها ركبُ مَلاكِ الموت)

أمرَ الطيفُ صحبَهُ فأصاخوا — لصدى أمرهِ الجليلِ الشّجىّ

فسما الطيفُ طائراً بعد ما احتثّ — خُطى مركب الفناء البهىّ

ودنتْ بعدَهُ الىّ طيوفٌ — تتهادَى من الخلودِ العلىّ

وعلى هامةِ الطيوفِ تراءى — لى شعاعٌ من الهُدَى القدسىّ

(مركب ملاك الموت)

هالةٌ تُرعِشُ الفرائصُ منها لضياءٍ من المَلاكِ القوىِّ
هالةٌ من شُعاعِ نورٍ وأخرى من شعاعٍ بين الجلال سَنىِّ
ذا مَلاكُ الفناءِ ما بين أعوا نِ غلاظٍ من الوجودِ الخفىِّ
جاء من عالمِ المماتِ ليعلو بى الى الخلدِ فى العُلى العلوىِّ
جاء من عالم المماتِ ليهدى نورَ روحى الى الطريق السوىِّ
بهرَ الرُّوحَ طائفٌ مِن جلالٍ لملاكِ الرَّدى العزيزِ الفتىِّ
وطيوفُ الفناءِ طارت خشوعاً تتغنَّى بلحنهِ العبقرىِّ
قام من رَكبهِ الملاكُ فخرّوا سُجَّداً رهبةَ الملاكِ العلىِّ
سَجدَ الكلُّ رهبةً فى جلالٍ وخشوعٍ لمشهدِ الروحىِّ

« • »

هبطَتْ رحمةُ المَلاكِ على رُو حى وصَبَّتْ حَنانَهُ الأبويَّا
باركَ المَلكُ لى جلالاً وأعطا نى لباساً من العُلى أبديَّا
فأزاحَ الشقاءَ والحزنَ عنِّى إذ كسا الروحَ ثوبَهُ القدسيَّا

« • »

(رحلة ركاب الموت حتى «وادى الأرواح»)

أمرَ المَلْكُ بالمسيرِ فساورا ودَوَى الأمرُ منه عذباً شجيَّا
فتراءت طيورُهُ فيه تَصْبيـ نا غناءً يجاوبُ الرُّوحَ حيَّا
وتبدَّت طيوفه فى سماء الـ بحرِ، حَيَّتْ مَلاكَنا اللوذعيَّا
وابتدا الركبُ بالمسيرِ جلالاً مالئاً عالمَ الخلودِ دويَّا

« • »

سار ركبُ المماتِ سيرا حثيثاً فوقَ موجِ الأثيرِ ثبتَ العمادِ
مَركبٌ للفناءِ فذٌّ عجيبٌ يحمل الرُّوحَ بينَ وادٍ ووادِ

يبهر الحسَّ سحرُهُ وسناهُ وطيوف مِن مجده ِ المتهادى

« • »

صِرتُ فى عالم الفناء خيالاً بعد أن ماتَ فى الوجود فؤادى

عُدتُ حيّاً الفؤاد حِسّاً ومعنًى طائرَ الروح ِ فى سما الإخلادِ

لبست حليةَ التجرّدِ روحى وأزاحت ماديّةَ الآبادِ

« • »

(مركب ملاك الشعر)

قابل الركبُ بعد حين ملاكاً حاملاً معزفَ القلوب الشوادى

ذا ملاكُ الشعر العزيز يغنى شعرَه فوق نايهِ المستجادِ

طار ما بين صاخبٍ مهمل الشا طىء يسعى لمركب الاسعادِ

جاء من عالم الفناء سَبوحاً يُنشد الشعرَ فى الجلالِ الهادى

« • »

(هنا يرى الشاعر نجوماً بارقة عن بُعدٍ فيصيح مستفهماً)

ويحَ عينى ! ماذا أرى يا مَلاكَ الـ شعر؟! ماهذه النجومُ الزواهرْ؟!

روّعتنى ومسَّ قلبى خشوعٌ وانحنت للجلالِ منى المشاعرْ !

« • »

(ملاك الشعر)

تلك يا شاعرَ الحياةِ حياةٌ ونعيمٌ للمتقين الأكابرْ

سبقت عالمَ الفناء جلالاً فهى مثوًى للصيِّدِ لا للأصاغرْ

« • »

(الشاعر مفكّراً)

سبقتْ عالمَ الفناء جلالاً فهى مثوًى للصيدِ لا للأصاغرْ؟!

(شاعر الحياة البائس يريد اطمئناناً)

يا ترى للشقاء يا مَلكَ الشعـ ـرِ على هذه النجوم مقامُ ؟

« ٥ »

(ملاك الشعر)

شاعرى ! تلك جنةُ الخلدِ ، والفر دوسُ فيها الهوى ، وفيها المرامُ
ليس فى هـذه النجوم شرورٌ كلُّ ما ضُمِّنَتْ هُدًى وسلامُ
وهناءٌ ورفعةٌ وحنانٌ وضياءٌ لا يعتريه ظلامُ !

(الشاعر سائلا عن الطريق اليها فى بشر)

ملكَ الشعر والخلود ! أبِنْ لى عن طريقٍ علَّى أطير اليها !
كنْ رسولى الى الجنان فانى سوف ألقى صفوَ النعيم عليها
كنْ رسولى الى الجنان فانى ألمس الخلد فى ربى شاطئيهـا
تلك دارُ النعيم يا ملكَ الشعـ ـرِ ! فيا خلدَ من يرى شرفتيها !

« ٥ »

ذا طريقُ الفردوس يا صاح ! لـكنـ ـنى أرى الموتَ ذا الطريقَ القويما
أنت فى مركب الفناء فامّا رحت فى عالم الخلودِ ... كريما
أو رأيت النيرانَ ترمى حمياً من لظاها أو تستثار جحيما

« ٥ »

(يوجه الشاعر نظره لملاك الردى سائلا عن مصيره)

يا ملاكَ الممات ! أين سبيلى ؟ لست أبغى غيرَ الخلود سبيلا
يا ملاكَ الممات ! كيف مصيرى ومتى يبتغى الركاب وصولا ؟
كنتُ فى العيش خيِّراً وجليلا أترى فى الممات أحيا جليلا ؟
يا ملاكَ الممات أين سبيلى ؟ لست أبغى غـيرَ الخلودِ سبيلا

« ٥ »

(ملاك الموت مطمئناً الشاعر ومجيباً)

قد أتاكَ الحياةَ يا شاعرى طيـ ـفان قبلى ، فى روعةٍ وثباتِ
وهما ، شاعرى ، لسانى وحِسِّى بلّغانى أعمالَكَ الفضلياتِ

كنتَ يا شاعرى جواداً جليلاً وكريماً منوّرَ الصفحاتِ
لكَ فى الخلدِ يا صفيرى مكانٌ زِينَ بالمحسنين والمحسناتِ !

« ٥ »

(الشاعر مسروراً)

لكَ فى الخلدِ يا صفيرى مكانٌ زين بالمحسنين والمحسناتِ !

(الشاعر شاكرا)

ليت شعرى ماذا يقول مَلاكى سوف أحيا بعد الشقاء سعيدا
سوف ألقى بعدَ الجحيم نعيماً وألاقى بعدَ العذاب خُلودا
يا مَلاكَ الممات شكراً وحمداً لا عدمناكَ خيِّراً ومجيدا

« ٥ »

(يصل الركب فى أثناء ذلك الى أدنى طبقات «وادى الارواح» ، وفى طبقاته العليا التى سينظرها الشاعر ويعلو اليها «سور الاعراف» الذى يفصل النجوم البارقة عن الغيم الكثيف المجاور لها — الجنة والنار اللذين رآهما الشاعر ، وهو هنا يصف ما فى الطبقة الدنيا لوادى الأرواح)

قد بدا الجوُّ ساحراً فى احمرارٍ قبل أن يبلغَ الركابُ الجنانا
وبدا الركبُ فى خضمٍّ عظيمٍ كلُّ ما فيه يسحر الوجدانا
ذاكَ نهرُ النسيان يبدو جميلا وغريباً .. محيراً .. فتّانا

« ٥ »

(الشاعر لملاك الشعر مندهشاً مما رأى)

يا مَلاكَ الشعر هذا عن رُبى الموتِ غريبُ
قد بدا لى اليومَ مَرأًى هو فى العيشِ كئيبُ
مَشهدُ الموتِ عظيمٌ وجميـلٌ وعجيبُ

« ٥ »

(يبدو ملاك الفنون محيياً ركبَ الموت بهذا النشيد)

مركبَ الموتِ سلاماً ! بَلّغْ اللهَ التحيّةْ !
انما الخـلدُ شعاعٌ مِن مَرائيكَ البهيةْ

« • »

جئتُ من دارِ الفناءِ قاصداً دارَ البقاءِ
فى خشوعٍ وهناءٍ وجـلالٍ وسناءِ

« • »

مركبَ الموتِ سلاماً ! بلّغ الله التحيةْ !
انما الخـلدُ شعاعٌ مِن مرائيكَ البهيةْ

« • »

أنتَ للخـلدِ لسانُ أنت للبشر كيـانُ
أنت للسحرِ مكانٌ فيه حُبٌّ وافتتانُ

« • »

مركبَ الموت سلاماً ! بلغ الله التحيةْ !
انما الخلدُ شعاعٌ مِن مَرائيكَ البهيةْ

« • »

(ملاك الشعر للشاعر)

هـذا إلـهُ الفنّ يُشجى الفؤادَ الصادى
يَفتنّ فى كلِّ لحنٍ بالسحرِ والانشـادِ

***

(تبدو أطياف «وادى الأرواح» ، وهذه الأطياف هى ما يشاهد أثرُها العميقُ فى الحياة : فهذه أطياف الغرام ، والحسد ، والقنوط ، وغيرها . .)

❊ مشهد أطياف الغرام ❊

(ملاك الشعر)

تلك أطيافُ الغرامْ تنشد الحبَّ الجميلاَ

وملاكُ الحبِّ يلقى لحنه السامى الجليلا

« ٠ »

إنَّ فى الخلد غراماً وهياماً وحنانا
غيرَ أنَّ الحبَّ فيه ليس ذلاًّ وامتهانا

« ٠ »

إنما الحبُّ هناءٌ للنفوسِ الصافياتِ
ونعيمٌ وشفاءٌ للقلوبِ الداميات

« ٠ »

﴿ يمر طيف الحسد يتبعه طيف القنوط ﴾

(مشهد طيف الحسد)

وترى هذا الحسودا خافضَ العينين حزنا
كان فى العيش مسودا فرأى فى الموت هونا

« ٠ »

(مشهد طيف اليأس)

وبدا اليائسُ فانظرْ وتأمَّلْ مركباتِهْ !
ذلك الطيفُ طروبٌ ليت شعرى ، فى مماتهِ !؟

« ٠ »

كان فى العيش ذليلاً وحقيراً ومُهانا
ويرى فى الخلدِ سحراً وجلالا ومَكانا

« ٠ »

(تنزل روح الشاعر واقفة أمام «وادى الأرواح» ، ثم تطير فى ركب ملاك الشعر الى أعلى طبقات هذا الوادى قبل أن تشرف على «وادى الأعراف » ، وفى هذه الطبقة العليا مستقرُّ الأرواح)

(الشاعر واصفاً)

نزلتُ الى وادى الجلالة طائراً وقد جُلتُ في وادٍ من الغمراتِ
نزلتُ فألفيتُ العجابَ فاننى غريبٌ ، من الدنيا الشقيةِ آتِ
رأيتُ نعيماً يبهر الطرفَ حسنه وشاهدت آياتٍ تهزّ ثباتى !
فلم أرَ دوراً أو رياضاً على الثرى ولم أر فيها شامخَ الهضباتِ
فكان أثيرُ الجوّ للقومِ مضجعاً وكان أديماً واسعَ الجنباتِ
فحلوا البحارَ المفرغات وقد بنوا بساحاتها الأمصار والفلواتِ
لهم فى عنان الجوّ أخصبُ مرتعٍ فهم يسكنون الجوَّ، وهو مواتى !

***

(ذكريات الحياة فى « وادى الأرواح »)

فراقبتُ مجداً فى المات ، وعزّةً وعشتُ حياتي ، ما عرفتُ حياتى
يعذّب قلبي فى الحياة لأنه فؤادُ شريدٍ واسعِ الخطواتِ
فنارٌ من التفكير بين جوانحى وأخرى من الآلام والحسراتِ
فهل من حياةٍ لا مذلة بعدها وعزٍّ لغير الذلّ والزفراتِ ؟!

***

(يطير الشاعر فى ركب ملاك الشعر الى « وادى الاعراف » حيث
يرى الجنة والنار، وهذا الوادى هو أعلى أودية السماوات ، فتحته
كما رأينا « وادى الأرواح » وتحت هذا بحر الموت
الذى يتصل أثيره بالحياة وبالجنة والنار)

(وقفة بين اللانهايتين)

(الشاعر)

أيُّ مَرأى تراه روحىَ يبدو عند أسوارِ شاطىء الاعرافِ !
مَشهدٌ مُفزعٌ ومَرأى طروب بين وادى الشقا ووادى التصافى
فترى أنهرَ الجلالةِ تجرى فى هدوءٍ أمامَ وادٍ جفافِ

***

(الفردوس)

وترى فى الجنـان أىَّ نعيم يتراءى بأجمل الأوصافِ
تسبح الطيرُ ساربات على نهـ ـرِ الأمانىّ فذّةَ الأصنافِ
تتغنى على الغصون بلحنٍ مستطابٍ منمّـقٍ زفزافِ
وتُرى فيه عابثاتٍ ، وتلهو بجميلِ الانشادِ فى استخفافِ
فالهزارُ الجميـلُ لا يبرح النهـ ـرَ مكبّاً كعاكفٍ لِرُعافِ
وتبـدّى الشحرورُ فيه يغنى عابراً لجةَ الخلودِ الصافى
ويُرَى السوسنُ الحبيبُ بسيماً فوق هام الورودِ دانى القطافِ
تتدلّى أزهارُه فى جمـالٍ وهى فى الخُـلدِ جنةُ الألطافِ

« • »

(جنة الشعراء)

إنّ للشعرِ فى الخلودِ مكاناً صاغهُ اللهُ منحةَ الشعراء
ولهم فيـه راحةٌ وهدوءٌ يدفع الصدرَ فى شعاب الهناء
فنسيمُ الخيال فيه هنىٌّ يرتع الحسُّ عنده فى رواءِ
فترى فى الميـاه تبراً مشاعاً وترى الزهرَ زاهياً فى صفاءِ

« • »

(ملائكة الجنة)

فملاكُ الطبيعة السمْحُ يَسعى فى رُبى الخلـدِ ليلَـه ونهارَهْ
وملاكُ الجلال يلقى جلالاً فى نواحيه جهده واقتدارَهْ
وملاكُ التغريد يشجى قلوباً خافقـاتٍ بحكمةٍ ومهارَهْ
وملاكُ الغرام يُعطى قلوبَ الـ ـعاشقين المتيمين شعارَهْ
وملاكُ الشعرِ العزيزِ يغنى فى صفاءٍ ويجتلى أشعارَهْ
يَتراءى بين الجنان طروباً وترى الخلد قطبه ومَدارَهْ

« • »

فسرت نسمةُ الجلالة منها لربانا فزعزعت أطيارَهْ
ليت شعرى : هذا خـلودٌ عزيزٌ فمتى يدخل الكرام ديارَهْ ؟

« ٥ »

(نظرات)

كنتُ فى روضةِ الجلال فما لى لا أرى بعدها خيالاً طروبا
فبوادى الأعرافِ ألقى انشراحاً وبوادى الاعرافِ ألقى قطوبا
وأرانى أجوب تلاً كبيراً تحته زورق الحياة يسيرُ
وعلى يَسرتى عذابٌ أليمٌ وعلى يمنتى جـــلالٌ ونُورُ

« ٥ »

(ينظر الشاعر الى أسفل فيرى زورقاً فيسأل ملاك الشعر عنه)

(الشاعر)

يا مَلاكى ! .. ماذا أرى يا مَلاكى ؟ ما ترى ذلك الخضمُّ العميقُ ؟
ما ترى فيه أنجمٌ وغيومٌ ويرى زورق عليـه غريقُ

« ٥ »

(ملاك الشعر)

شاعرى ! ذاك زورقُ العيش يجرى فى خضمٍّ الردى القويِّ الزاخرْ
يسبح الركبُ كلَّ يومٍ وليلٍ فى فضا البحرِ بين شـطٍّ وآخرْ

« ٥ »

مركبُ العيش فى الممات مَتاعٌ يتـلاشى فيه رويداً رويدَا
كان لونُ الركاب جمَّ ابيضاضٍ وتراهُ المغبَّشَ المســـودَّا
قد بلى فى المماتِ روحاً ولوناً هل تَرى للمماتِ فى العيش رَدَّا ؟

« ٥ »

تحسبون الحياة ركناً منيعاً وترون الحياةَ سحراً وخُلدا
إنما الموتُ للخـلود طريقٌ غير أنى أراه سهلاً مُمَـدَّا

(يتأمل الشاعر الزورق ، ويقول مسروراً)

وأرى حبلَ زورقِ العيش قد قا ربَ من صولة الردى أن يُشَـدَّا

« ٥ »

(ملاك الشعر)

هو واهٍ وكان فى سالف العهـ ـدِ قوياً مقوِّمَ العودِ نجدا

« ٦ »

هو فى اللانهايتين مجـــدٌ تاه ربانه الفتى فى سمائه ؟
قاده الموجُ فى ضجيجٍ الى البعـ ـث وقد كان حالماً فى ارتقائه !
يزدهى ثم يستحيل رماداً ثم يُذرَى بالبعث فى أجوائه
زَوْرَقٌ عابرٌ لبحرٍ كرىٍّ الردى والنعيمُ عند انتهائه
تصل اللانهايتـــين حياةٌ بين موتِ انتهائهِ وابتـــدائه

« ٧ »

(ينظر الشاعر الى يساره فيرى ضباباً كثيفاً)

(الشاعر)

يا مَلاكى ! أرى ضباباً فماذا تنظر العينُ فى الضبابِ المقيمِ ؟!

« ٨ »

(ملاك الشعر)

ذاك يا شاعرى حجابٌ كثيفٌ يختفى خلفه جحيمُ الهمومِ
سترَى فيه مَشهداً يقبض الرو حَ عبوساً يعلوه جوٌّ سمومِ
سترَى ناره تشعُّ لظاها وكفى انها عذابُ الجحيمِ !

« ٩ »

(سير ركاب ملاك الشعر الى الجحيم)

(الشاعر واصفاً)

ودنونا من الجحيم رويداً ودخلنا بين الغيوم الكثيره
وهنا لاح مَشهدُ النار تلقى فى رُبى ذلك الجحيم سعيره
فاذا ما نظرت هالك مَرأى تنظر العينُ شرَّه ونكيره

واذا ما طلبتَ ماءً مساغاً — كان غسلينُ ذا الجحيمِ غديرهْ !

« ٥ »

هى دارٌ تصفقُ الروحُ فيها — تتلوّى على أسىً وتأسّى
ولقــد راعنى ضياءٌ لظاها — وسنًى يؤلم القلوبَ ويحسى
فضجيجُ الفنـاء فيها علىٌّ — ولصوتِ الشقاء أوقع جرسِ
وعويلُ الفناء فيها زئيرٌ — وهو عندى من الأخسِّ الأخسِّ

« ٥ »

(شياطين الجحيم)

فالشياطينُ تقذف النارَ شرّاً — وشراراً وتستعـدُّ لنحسِ
فأرى مرسل الهموم مكبّاً — فى شقاءٍ من الهمومِ وبؤسِ
وأرى باعث السموم مقيماً — ينفخ السمَّ بين نابٍ وضرسِ
وأرى صاحبَ الشرورِ ذليلاً — يذرف الدمع بين همٍّ وتعس

« ٥ »

(ملك ابليس)

ذاك ابليسٌ اللعينُ يغنى — ويناجى الجحيمَ بين لظـاهُ
فلابليس فى الجحيم مـكانٌ — فاض بالشرِّ فهو حامى حماهُ
ويُرَى اليومَ فى الجحيم هنيئاً — فهو ملكٌ ، والملك أقصى مناهُ

« ٥ »

إنّ وادى الجحيم وادٍ عميقٌ — لستُ أدْرى أنَّى يُرَى منتهاهُ
فاذا حاولتُ الوصولَ لجوٍّ — علنى قد أرى عجيب سماهُ
أو إذا حاولتُ الوصولَ لأرضٍ — علّنى قـدْ أرى عجيبَ ثراهُ
لا أرى غيرَ نارِ همٍّ وغمٍّ — وسمومٍ تهبّ فوقَ علاهُ

« ٥ »

يستقى البائسونَ منهُ مياهً — صاغها الله بينهـم غسلينـا

صاغها مِن جُلودهم ، ونفوسٍ ضُمِّنَتْ فى القلوب شرًّا مُبينا
يرعدُ الجوُّ منهمُ بدَوِيٍّ كانَ فى هذه النواحى كمينا
ويرِقُ الدويُّ فيه شَرارٌ لو همى فى الورى أمات المنونا !

« ٠ »

فوقَ شَطِّ الجحيم بعضُ خلودِ للالى خلَّدوا الحياةَ وسادوا
يَحْسَبونَ المماتَ بعضَ غناهم فاستحالوا عن الطريق وحادوا
وغداً تسبحُ الحياةُ إلى المو تِ ، وما للحياةِ فيه عمادُ
وغداً يعلمُ الذين أبادوا الـ ناسَ بالظلم أىُّ قومٍ أبادوا
وغداً يكشفُ المماتُ عن الما ضى ، وما صانَ سِحرَهُ الآبادُ

« ٠ »

إن للبائسين بعضَ قلوبٍ كوِّنَتْ من شرورهم فى الحياةِ
خلقوا فى هياكلٍ وحواسٍّ فطواها الجحيمُ فى المعمياتِ
سبحوا فى عوالمٍ من شقاءِ كفَّنَتْها مقابرُ الحسراتِ
وانتهى أمرُهُمْ الى عالم الشرِّ فذاقوا الشرورَ والويلاتِ

« ٠ »

(يبدأ الشاعرُ فى العويل من منظر الجحيم الذى يقبض الروح)

(الشاعر)

ويحَ روحى .. وويح عينىَ .. آها! تدمع العين من شرور المماتِ

(ملاك الشعر)

كفكف الدمعَ شاعرى ! إنَّ هذا خيرُ أصقاع عالم الأشرارِ !
ذاك يا شاعرى مكانٌ جليلٌ فالمكانُ الخسيس بين الضوارى
حيث تلقى به الوحوشَ حيارى تتلوَّى فى النارِ والأحجارِ
وتراها مِن المذلةِ تعوى هائماتٍ فى غيرِ ما استقرارِ

« ٠ »

(النهاية والرجوع إلى عالم الأرواح)

(إلى المقرّ الأبديّ حتى البعث)

قُمْتُ وادي الآلام والحزن حتى ... لاح ضوء الجنان يهدي وقاره

وملاكُ الطبيعة السَّمْحُ يسعى ... في ربى الخلد ليله ونهاره

وملاكُ الجلال يلقى جلالاً ... وترى السحر قطبه ومداره

وملاكُ التغريد يشجي قلوباً ... خافقاتٍ بحكمةٍ ومهاره

وملاكُ الغرام يغبطي قلوبَ الـ ... عاشقين المتيمين شعاره

وملاكُ الشعرِ العزيزِ يغني ... في صفاءٍ ويجتلي أشعاره

« ٥ »

فسرت نسمةُ الجلالة منها ... لربانا فزعزعت أطياره

ليت شعري هذا خلودٌ عزيزٌ ... فمتى يدخل الكرام دياره ؟

محمد سعيد العصراوي



أغنيـة

للشاعر شبلي

جلس الطائرُ يرنو للفضاء ... فوق غُصْنٍ جفّ من بردِ الشتاء

ذاهلاً يبكي حبيباً راحلاً ... لم يمتعه به صرفُ القضاء

حين هبت فوقه عاصفةٌ ... تحمل البردَ وذرّاتِ الهباءِ

وجرى تحت ذُراهُ جدولٌ ساهمٌ تَجْــدُهُ قرُّ الهواءِ

***

لم يكن فى الغاب يبدو ورقٌ أخضرٌ ، أو غصنٌ نضرُ الكساءِ
أو زهورٌ فوق أكتافِ الرُّبى ضاحكاتٍ للضحى أو للمساءِ
وسجا الجوُّ فلم يهتِفْ صدًى لضجيجٍ أو هتافٍ لنداءِ
غير طاحونٍ سرت ضجتهُ من بعيدٍ .. مثل همسٍ فى الفضاءِ !

احمد مخيمر

طيف — Un Fantome

عن شارل بودلير

(١) الظلمات Les Ténèbres

فى أقبية الكآبة المبهمة حيث زوانى القدر ، حيث ليس يسرى شعاعٌ ورديٌّ بهيجٌ ، وحيداً مع الليل مضيفى العابس ، أنا مثل رسَّام قضى عليه إلهساخر أن يرسم — يا أسفاً — على الظلمات ، أو كطاهٍ طعامه لمأتم أغلى قلبي وآكله ، يشرق لحظةً ويستطيل وينتشر طيفٌ من البهاء والسناء . وحين يكتمل فى مِشيتهِ الشرقية الحالمة ، أعرف زائرتى الجميلة : هذى هى ! مظلمة ومنيرةٌ معاً !

(٢) العطر Le Parfum

أيها القارىء هل تنسَّمْتَ فى نشوةٍ ونهمٍ رائحةَ البخور تملأُ كنيسة ، أونشر مسكٍ أصيلٍ ؟ الفتنة والسِّحر ، منهما نسكر فى الحاضر والماضى المجدَّد ! هكذا المحبُّ لهيكل معبود يقطف من الذكرى زهرةً نضيرةً . من شَعرها اللدن الثقيل ، وسادةٌ حية ، وجامٌ للمضجع ، وينطلق أرجٌ وحشيٌّ أصهَب ، ومن ملابسها الحرير والقطيفة مشرَّبَةً بشبابها النقى يسطعُ عطراً !

(٣) الاطار Le Gadre

مثلما يُضفى إطارٌ على الصورة — وإن كانت من ريشةٍ ممدوحةٍ — ما لست أدرى من عجيبٍ وفاتنٍ ما فصلها عن الطبيعة السَّرمدية ، هكذا الأحجار الكريمة

الأثاث ، الذهب ، وجمالها الفريد ، لا شيء يحجب كمالَ نورها ، وكلٌّ لها حواشٍ .
وربما قيل إنها تعتقد أن الكلَّ يرغب فى حبها ، لقد أغرقت جسدها العارى الجميل
مليئاً بالرعدات فى قبلات الشيطان والأثواب ، وفى حركاتها كسولةَ أو هوجاء
تبين ظرف طفل قرد .

(٤) الصورة Le Portrait

المرض والموت يصنعان الرَّماد من كل النار التى سطعت لنا ، من هاته العيون
الواسعة ترنو فى حرارةٍ ورفقٍ ، من هذا الثغر حيث أُغرق قلبي ، من هذه القبلات
قويةً كبلسم ، من هاتي اللمحات أكثر حياةً من الأشعة . ما الذى يبقى ؟ آه !
روحى ! لا شيء غير قدرٍ شاحب بثلاثة أقلام ، والذى مثلى يموت فى الوحدة ،
فالوقت ، العجوز الشتام ، يَمركه كل يوم بجناحه الخشن ... أيها القاتل الأسود
للحياة والفن ، لن تقتل أبداً فى ذاكرتى تلك التى كانت فرحى ومجدى !

***

أمنحك أنتِ هذا الشعر ، وإذا بلغ اسمى لحظٍ سعيدٍ بعيدة الحقب ، وصنع
الأحلامَ مساءً للعقول البشرية ، كمركب تدفعها ريح شمال ، فان ذكراك مثيلة
الخرافات المبهمة ، ما أتعبت القارىء كالدفوف ، ستبقى معلقة إلى قوافٍ الشامسة ،
كائناً ملعوناً لا شيء ما عداىَ يجيبه من الهاوية السحيقة إلى أعلى السماء — آه أنت
يا من ، كشبح سارٍ على أثرٍ عافٍ بقدمٍ خفيفة أو نظرة صافية ، حكم الأغبياء الفانون
بفسادك ، يا تمثالا بعيون الكهرباء وملاكاً رائعاً بجبهة من الشبهِ !

ليون (فرنسا) محمد عبد الحكيم الجرامى

عِشرة الورد

(عن الفارسية للشيخ السعدى الشيرازى)

مررتُ على أوراقِ غصنٍ أصابَها ذبولٌ فلم تثبت على الغصنِ فى مَهْدِ
ولكنّها رغمَ الجفافِ يَزينها عبيرٌ كريمُ النفحِ أذكى من النَّدِّ

فقلتُ لها : هل كنتِ فى هذه الرُّبى وروداً تزيد الحسنَ فى حمرةِ الخدِّ ؟
أجابت بوجدٍ : لستُ ورداً وانما كسبتُ الأريجَ العذبَ من عشرةِ الوردِ

***

الشباب

(عن الهندية)

مَعْشَرٌ مرّوا بأجيـالِ الدّهورْ ما لهم هاموا بتقويسِ الظّهورْ ؟
فقدوا درّةَ أيامِ الشبابْ فانحنوا للبحثِ عنها فى الترابْ !

الصاوى على شعلان



الملاك النائم

« . . . لقد وَهبَتْهُ هذا الجمالَ الناعمَ الجديدَ ، وكانت هى التربة التى نمَتْ فيها أزهارُه الغريبة ، بيد أنها — هى الأخرى — قد راعها أن تنبت فيها مثل هذه الأزهار ؟ » (من قصة « المخطىء » The Trespasser للشاعر القصصىّ الانجليزى الكبير د . ه . لورانس D. H. Lawrence)

لم يزل يقرع النوافذَ قطرٌ أطلقتــه نافورةٌ فى السماء
والضبابُ الكثيفُ يَسرى مع النســم الهوينا فى ساحةِ الجوزاء
وأنا أجتلى جبينَــكِ بدراً مُشرقاً فى غيــاهبِ الظلماء

لاثمٌ ذلك الجبينَ ، وقد أمسيتُ في سكرةٍ من الأضواء
لاهثٌ أمزج التنفسَ بالضوء ، وأطويكِ لذةَ الأعضاء
ظامئٌ ، لا أملُّ مِن مُتعةِ الحبِّ ، وإنْ كان في المتاع فنائي
راغبٌ أن يدوم هذا العناقُ الحلوُ للبعثِ ، لا لبعثِ ذكاء !
حائرٌ ، مُجْهَدٌ ، وقد ودَّعَ النومُ جفوني ، واستيقظتْ أهوائي

***

إيهِ يا واحةَ الفؤادِ المُعنَّى ومَلاذَ الخواطرِ الهوجاء
لكَفى القربُ منكِ نُعمى ، وحسبي لَثْمُ هذى الأضواء لَثْمَ الهواء !
إنَّ جسمي ظمآنُ ، والروحُ لهفَى لِسناكِ المُشعشَعِ الوضَّاء
حبذا أنتِ تَظفرين مع الحُلمِ بكونٍ من الخيالاتِ نائي
ترسلينَ الأنفاسَ وَسْنَى كعينيكِ ، على وَجنتيَّ كالأنداء !
وأنا جاثمٌ حيالكِ أرعَى كنزكِ الحيَّ رِعيةَ البُخلاء
لاهجٌ بالصلاةِ طوراً ، وباللهفةِ حيناً ، وتارةً بالغناء
هاتفٌ كالصغيرِ بالشعرِ تسبيحاً بحمدِ الملاحةِ العذراء

***

أبداً أرتجيكِ يا حاجةَ الرُّوح عزاءً في النكبةِ النكباء
إنَّ يوماً أقضيه عنكِ بعيداً لهو يومُ الهلاكِ ، يوم انتهائي !

مختار الوكيل





القوة والضعف

فى الشعر الحديث

ان علماء العروض والقوافى لم يصيبوا فى تعريفهم الشعر بأنه كلام مقفى وموزون ، وهل كل كلام مقفى وموزون يُعدّ شعراً ؟ وهل الشعر على هذا التعبير يؤدّى رسالة الشاعر للناس قوية المناحى كما يجب ، دقيقة التعبير كما ينبغى – الشاعر ذى الاحساس الرقيق والحب الصادق والخيال الواسع ، الشاعر الذى يحلق فى جو ليس فى مقدور العامة أن تحلق فيه ؟!

ان الشعر إن لم يكن الباعث على قوله نفس حفزها الوجدان ، وأملى عليها الخاطر ما جاس فيه وتلاطم داخل طياته من خواطر لم يجد الى احتجازها سبيلا ، فانسابت تلك الخواطر آخذة طريقها الى المسامع كما ينساب الجدول بالماء العذب النمير لا يعوق سيره عائق ولا يكدره مكدر – أقول إن لم يكن الباعث على قول الشعر احساس صادق لا أثر فيه لتكلف أو تعمل فهو كما يقول علماء العروض والقوافى « كلام مقفى وموزون » .

واذا كان قول العقاد :

والشعرُ من نفس الرحمن مقتبسٌ والشاعرُ الفذّ بين الناس رحمنُ

أصاب كبد الحقيقة لتعريف الشعر والشعراء ، فانا لم نر فى هذا الزمان على الخصوص – مع استثناء بعض الشعراء المطبوعين الموهوبين – الا شياطين اقتبسوا أشعارهم من شياطين الهاماتهم – لا من الرحمن – وقد سخرت منهم فألهمتهم كل غث مرذول يغاير صور الحياة تمام المغايرة ويباينها كل المباينة . ولعل السبب فى ذلك انهم يقلدون القدماء ويبكون معهم الاطلال حيث لا اطلال تبعث البكاء فى عهد العمران هذا ،

ويجدون معهم العيس حيث أصبحت العيس فى هذا العصر ـ عصر البخار والمدنية ـ تعرض على أنظار الجمهور فى جناين الحيوانات بقصد التسلية .

ولعل سبباً آخر هو من أهم العوامل التى تجعل الشاعر مقلداً أكثر منه مبتكراً أو مبتدعاً وتجعل على شعره مسحة من التكلف الممقوت الذى يغضّ من قيمته . وهذا السبب هو الجمهور ، لأن بعضاً من الشعراء يجهد نفسه ليرضى الجمهور بكل ما أوتى من قوة ، إذ أن الجمهور لا يقبل على شيء أو يستحسنه حتى يكون وفق هواه ، وارضاء الجمهور وتنفيذ رغباته يفقدان الشاعر منزلته الممتازة وينزلانه من مرتبة الخاصة الى مرتبة العامة . والشاعر الذى يربأ بنفسه أن ينزل مع الجمهور فى حلبة واحدة هو وحده الصادق الذى يعبر عن شعور صادق ، وهو وحده المضمون لشعره البقاء لأن للأيام دورة تميز فى أثنائها الخبيث من الطيب ويذهب فى خلالها الزبد جفاء ويمكث ما ينفع الناس فى الأرض .

ان المتنبي لم يمت ولا ضمه قبر ولا حواه رغام وله قريض تغنى به الزمان وأعجب به الأدباء جيلاً بعد جيل . أجل : ان المتنبي لم يمت كما مات كثير من الشعراء الذين نبه ذكرهم فى أول عهد ظهورهم ثم أبرم عليهم الزمان حكمه العادل بالموت الحقيقى الذى لا حياة بعده ولا نهوض حتى لم يعد لهم ذكر لدينا كما نذكر المتنبي وأضرابه من شعراء العربية كأبى تمام والبحترى وابن الرومى وابن المعتز وغيرهم . فلو كان الشعر قولاً مقفى وموزوناً كما يقولون ، ولو كان مَن ذكرنا أسماءهم وما لم نذكرها من أعلام الشعر ينزعون الى تقليد من سبقهم من الشعراء لما بقى لنا من شعرهم شيئاً نفتن فى تقليده ومجاراته . واذا بقى شيء منه فما أظن أننا نجد حافزاً يحفزنا الى تقليده ومجاراته لافتقاره الى صدق فى اللهجة . وقوة فى المعنى .

على أن للشعر الذى يمتاز بالقوة فى أدائه وجودة التعبير فى القائه ، وبروح من الفن يرفرف من بين معانيه، قوة سحرية خفية هى أشبه بالمغناطيس تجعل الشاعر يتأثر بمعانيه بمجرد تلاوته له الى حد بعيد وينجذب نحوه انجذاباً لا يشعر به الاّ حين ينظم معانى ذلك الشعر العبقرى الذى تلاه فى شعره . ويجدر بنا فى هذه الحالة — حالة تأثر الشاعر بغيره — أن نقتصد فى اللوم فلا نوجه اليه الا بقدر ينبهه من غفوته ويردع الذين يتعمدون التقليد ، وأن نلتمس له بعض العذر لأن توافق الخواطر فى الأفكار كثير الحدوث بين الناس . ونقدر أن نقول إنه لا جديد

فى المعانى مطلقاً ، لأن القدماء — سامحهم الله — لم يتركوا جديداً لمجدد . فما علينا والحالة هذه الا أن نلتمس التجديد من صور الحياة نفسها ، لأن الحياة ليست كالماء الراكد ولكنها فى تجدّد مستمر ، ولن تزال الى أن تبدل الأرض غير الأرض — خصوصاً فى هذا القرن الحالى — القرن العشرين — القطار . الطيارة . الغواصة . اللاسلكي . السينما . الحاكى . الخ . كل هذه صور من الحياة جديدة لم تكن معروفة عند أجدادنا القدماء ، ولم يسمعوا بها إلاّ فى حكايات ألف ليلة وليلة التى ابتكرها خيالٌ جبّار فى ذلك الزمن . وهذه الصورة الجديدة قديرة أن تحرك شاعرية مَن ينشد التجديد ويعشقه — ويجب على كل شاعر أن ينشد التجديد ويعشقه — فيتدفّق من فيه الشعر الساحر النفيس ، ومن لم تحرك شاعريته هذه الصور المرئية الواضحة التى تمثل روح العصر الحاضر أصدق تمثيل وتبرزه للعيان أوضح بروز ، فلا إخال شيطان إلهامه إلا من الذين قال الله لهم بغضب ونقمة « اخسأوا فيها ولا تكلمون » !

أما ان الشاعر يتأثر ببيئته تأثراً لا يخفى على فَطِنٍ حينما يقرأ شيئاً من شعر ذلك الشاعر فهذا أمر بديهى يعرفه كل مولع بدراسة الشعر ونقده ، إذ أن مَثَل البيئة فى ذلك كمثل الجوّ وتأثيره على الجسم إذا كان الجوّ وخماً مشبعاً برطوبة مفرطة أو بسموم لافح تبعاً لتقلبات الجو ، وبالعكس يظهر نفعه على الجسم إذا كان الجو معتدلاً رقيق الهواء .

وثمت طوارىء أخرى غير البيئة تجعل الشاعر ينهج منهجاً آخر فى شعره كان من الممكن أن لا ينهجه اذا لم تحدث هذه الطوارىء المفاجئة : فمثلاً بما ذا كان يتشكل منهجُ جميل بثينة أو كُثَيِّر عزة أو قيس بن الملوّح فى أشعارهم لو لم يروا محبوباتهم فى حياتهم ويفتتنوا بهن حباً وظلوا طيلة أيام مكوثهم أحياء لا يتيمهم رشأ بريش سهامه الى صميم القلب فما يخطىء المرمى ؟ أو كيف كان يبدو منهج المعرى فى شعره لو لم يصب بالجدرى الذى أعماه فى صغره ؟ كيف كان يبدو منهجه فى أشعاره لو عاش بصيراً يتمتع بثروة واسعة ؟ حقاً ان للطوارىء أوْفَرُ نصيب فى تغيير حياة المرء وتوجيهها الى غير الوجهة التى كان يجب أن تتّجه اليها لو لم تحدث هذه الطوارىء ، والانسان كما وصفه الله تعالى — وقوله الصدق — « إذا مسّه الشر جزوعاً وإذا مسّه الخير منوعاً » .

قال العتابي :[١] من قرض شعراً ، أو وضع كتاباً فقد استهدف للخصوم واستشرف للألسن ، إلا عند من نظر فيه بعين العدل وحكم بغير الهوى ، وقليلٌ ما هم .

يجب على الأديب الناقد أن يكون منصفاً لمنقوده حتى ولو كان من أعدائه الألدّاء بأن يذكر الحسنات بجانب السيئات والفضائل بجانب الرذائل ، وبالاختصار بأن يضع كل شيء فى نصابه حتى يتبين للناس الحق من الباطل والخطأ من الصواب . أما الناقد الذى يقوده الهوى ويستولى على حجاه الحنق والحسد والموجدة على منقوده فيتغاضى عن ذكر حسناته ويبالغ فى تعديد سيئاته فان نقده لا يلبث حتى يعود وبالاً عليه أو شراً من الوبال . ولا يلحق المنقود من ذلك ضرر لأن الحقيقة مهما طال اخفاؤها ستكشفها الأيام وتظهر للناس واضحة جلية كفلق الصبح .

ان الشاعر الذى تكتنفه زعازع من النقد الذى لا غرض له سوى الهدم لكالصخرة الجاثمة وسط شلال ضيق المسرب قوى المجرى عميق الغور . فإما أن تقتلع هذه الصخرة الأمواج وتخلى منها المكان إذا لم يكن لها أصل متغلغل فى أعماق الثرى ، وإما أن تصمد فى بسالة لصفع الأمواج المتواصل وهجومها الذى لا يعرف الانحدار اذا كان لهذه الصخرة أساس غائر الى طبقات الثرى السفلى . وصخرة الشاعر ذات الأساس المكين التى يغالب بها تيار النقد الجارف هى اليقين والوثوق بالنفس هما وحدهما اللذان يخلقان من نفس الشاعر نفساً تشعّ نوراً وتتقد حيوية وتتوثب طموحا الى أعلا درجات الفن . وهما وحدهما اللذان يبلغان بالشاعر حد الاجادة ويجعلان على شعره طابع الخلود بما يصبغانه عليه من صدق اللهجة وتوضيح الغرض فى صراحة ، والصراحة هى من الأمور المهمة التى يجب أن تكون شيمة فى الشاعر الحرّ – الحرّ فى أفكاره ونظراته فى الحياة ، بله الحر فى معتقداته .

لكنّ للنقد الأدبى الذى يقصد به الى خدمة الأدب والفن لوجه الأدب والفن شأناً غير شأن النقد المغرض ، لأنه يدل الشاعر على مواطن الضعف والركاكة فى

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الجزء الأول صحيفة ٣

شعره بأدلة محسوسة وبراهين معقولة يقبلها المنطق ولا تأباها الحقيقة . والشاعرُ أمام هـذه الحقائق الواضحة — اذا لم يكن مغالطاً — لا يسعه الا ّ أن يتسامى بشعره فى المستقبل الى أعلا درجات الجودة والاتقان . ولهذا النوع من النقد البرىء فضل على الشعراء لا يجحد . وحبذا لو قام النقاد بما يفرضه عليهم واجبهم نحو خدمة الأدب على العموم والشعر على الخصوص ، وحبذا لو قابل المنقودون الانتقاد البرىء بالارتياح وحسن الظن ، إذاً لنبضت فى الشعر الحـديث روحٌ من الحياة الخالدة أكثر مما هى نابضة الآن .

ويجب أن لا ننسى — ونحن نتـكلم عن أسباب قوة الشعر الحديث وضعفه — ما للسياسة اذا ما انسابت أفاعيهـا وتفاقت بلاويها من تعويق للشاعر عن أن يؤدى رسالته للناس كاملة غير منقوصة ، ويبلغهم إياها بوضوح كما يجب أن يبلغ الرسالة للناس بوضوح الرسول الصادق الأمين . وما عهـد شوقى « شاعر القصر » عنا ببعيد ، فلو لم تقيده السياسة بقيودها وتـكبله بأغلالها وتستغله لخدمـة أغراضها زمناً ليس بالقليل لخلف لنا تراثاً أدبياً لا تخلق جدّته الأيام بل هو يخلق جـدة الأيام ويشمخ على الأحقاب شموخ المدلّ المتصلف . على ان الله أراد بالأدب خيراً فخرج شوقى أخيراً من محبسه ، وتحرر من قيود السياسة وأوضاعها ، وانطلق البلبل يغرد بصوت مرخم رقصت له نفوس أهل الفن طرباً ، وانتشت الأرواح من خمرته الالـهية المعتقة ، فهى لا تزال ترقص وترقص ما دام فى الـكأس بقية من خمر .

ان بعضاً من الشعراء يفخر ويتشدق لأنه قال الشعر وهو ابن عشر سنين . ولو علم ما جناه على الأدب لـكفّ عن فخره ولعلم أنه بافتخاره هـذا يذم نفسه ويطلع الناس على مقدار جهله التام بالشعر ، لأنه يجب على الشاعر قبـل أن يقول الشعر أن يدرس الشعر القديم والحديث درساً وافياً تحت ضوء المعرفة ، وأن يكون ناقداً حصيفاً نافذ البصيرة يعرف مواطن الضعف والقوة فى القصيد من اللمحة الأولى .

وأحجى بالأديب الناشىء الذى تتوق نفسه لقرض الشعر أن يحفظ نخبة صالحة من أشعار القدماء والمحدثين حتى يستطيع أن يكوّن له مادة غزيرة من الألفاظ والتعابير ، وحتى يستطيع أن يخرج للناس شعراً جيداً رصيناً قوى الديباجة قوى المعانى واضح التعابير ، وأنا إذ أقول يجب على الأديب الناشىء أن يحفظ نخبة صالحة من الشعر حتى يـكون غنيـاً بالألفـاظ والتعابير لا أعنى بذلك أن يـكون مقلداً

بحيث اذا قال قصيدة أطلت من خلال سطورها رؤوس شتى لشعراء فى أزمان متفاوتة كأنهم قد دعوا الى وليمة ! لا ، لست أعنى هذا ، ولكنى أعنى أن تكون للشاعر ملكة قوية وفى مقدرة فائقة لقول الشعر ، حتى يستطيع بفضل هذه الملكة وتلك المقدرة أن يعبر بسهولة عما جاش فى نفسه من خواطر وما اضطرب فيها من خوالج وما احتدم فيها من انفعالات نفسية يستحيل كبتها فى قرارة الضمير ، وأخيراً أن يكون معبراً عن روح عصره أدق تعبير وممثلاً له أصدق تمثيل .

ان التخلى عن شعر الأمداح فى هذا الزمن - أكثر من ذى قبل - من أكبر العوامل على تقوية الشعر الحديث وإن كنا نودّ له قوة أكثر من قوته الحالية ، لأنه متى سقط عامل واحد من عوامل الضعف سيحدث فراغاً لعامل من عوامل القوة ليحل فيه ، وحبذ لو تخلى شعراؤنا الأمجاد عن ضروب شعر المناسبات الأخرى لتتم القوة وتتحد المنعة .

إن الشعر لا يصلح لتسجيل الحادثات ، كلا ولا لتدوين الاجتماعات وما يدور فيها من مناسبات . الشعر فرقان المحبين وأسمى لغة يعبر بها العاشقان عن مكنون ضمائرهم . الشعر لغة العواطف المتسامية عن أدران الرذائل الأرضية المبتذلة ولا يجوز أن يُستخدم فى مثل هذه الأغراض .

ولكى يعاد للشعر العربى سابق مجده التليد كما كان أيام خلفاء بنى العباس - بشرط أن يكون مطبوعاً بطابع العصر الحاضر - يجب أن يكون الشعراء على تفاهم تام بينهم ، حتى يتكاتفوا جميعاً على تقوية أساس الشعر ورفع بنيانه على أمتن ما يجب أن يرفع البنيان على الأساس المتين ، فلا نعود نسمع بصديق قاطع صديقه وجعله مضغة الأفواه فى النوادى والمجتمعات متناسياً المودة والاخاء ، أو عن تلميذ عقّ أستاذه وأنكر فضله عليه وتكوينه له .

وبعد ، فهل نرجو من شعرائنا أن يستوحوا الهاماتهم من صور الحياة الراهنة يدفعهم الى ذلك فيض من الوجدان واملاء من الخاطر وصادق من الاحساس ؟! هذا ما نتمنى تحقيقه فى القريب العاجل ؟

(الجزيرة أبا - السودان) بشرى السمير أمين

الفلسفة والصوفية فى الشعر

(بقية المنشور على الصفحة ٢٨٨)

فصاغَ آدمَ منها وهو ممتعضٌ بعدَ الأمَرَّيْنِ مِنْ عُدْمٍ وإعياه
وراحَ يخلقُ حوّاءً فما سمحتْ بقيّةٌ منهما فى خلق حوّاه
فاضطرَّ يخلقها مِن آدمٍ فاذا مُركَّبُ النقصِ فيها لهْوُ بنّاه

ولا يقول الاجاهلٌ بفنون الشعر إن صاحب هذه المقطوعة من الملحدين ،فهو انما يصوّر بنفسية الطفل مبدأ الخليقة الانسانية ومركز المرأة،والعقل الباطن الذى سمع عن « مركب النقص » أبى إلا أن يصوّر لنا هذا التصوير الطريف المفسّر. فكيف نلوم هذا العقل الشعرى الطفل بدل أن تتذوق فنه باسمين ؟ وهل لكاتب هذه السطور أن يسخط على طفله الصغير وقد عرضَ عليه رسمَ الخالق جل شأنه فى صورة معلم جالس فوق السحب يحاكم الأولاد الأشقياء ويعاقبهم ؟ وهل أخطأ ناظر مدرسته فى الحرص على هذه الصورة الفنية فى فكرتها وتفصيلها ؟ إن ما يصوغه العقل الباطن من فن لا يجوز للعقل الواعى أن يعترض عليه ، بل له فقط أن يتأمله ويتذوّقه ، وله أن يضحك منه إذا شاء ، وأما السخط عليه فأمر لا يجوز وخصوصاً عند من ينتسبون الى الآداب والفنون ويدّعون معرفة علم النفس واحترام الفلسفة والتصوّف .

أبو القاسم الشابى

فى فجر التاسع من شهر أكتوبر الماضى فاضت روحُ الشاعر التونسىّ المبدع أبى القاسم الشابى أحد أعضائنا النابهين بعد مرضٍ طويلٍ هدّ قواه ولم تنفع فى فى درئه العنايةُ والعلاجُ . وقد جاءنا نعيه (مع كتاب منه قبيل وفاته) وهذا العدد على وشك الصدور ، فلم نستطع أن نوفيه حقه من الرثاء والتقدير ، وحسبنا الآن أن نعزّى الأسرة الشابية وأدباءَ تونس بل وأدباء العربيــة عامةً فى هذا المصاب بشاعرٍ من صفوة الشعراء المجددين قلَّ أن يُعوَّض .



الدرامات الشعرية

ما دام المنصفون من المؤرخين لم ينسوا فضلَ اسماعيل عاصم ولا نجيب الحداد في خلق الشعر المسرحي الحديث ، فمن العدل الأسبق أن لا ننسى الفضلَ الأول للشاعر خليل اليازجي منشيء مجلة (مرآة الشرق) في مصر سنة ١٨٨١ (وقد احتجبت عند ظهور الثورة العرابيـة) وصاحب ديوان (نسمات الأوراق) الشهير ، فانه بتأليفه رواية (المروءة والوفاء) الشعرية ـ وهي مبنيَّة على حكاية حنظلة والنعمان ـ في ألف بيت من الشعر ، متحدّياً كبار مؤلفي الغرب ، قـد كان رائداً جباراً لهذا اللون المستحدث في الأدب العربي . وقد مُثلت روايته هذه في بيروت سنة ١٨٧٨م. وظهرت طبعتها الأولى هناك سنة ١٨٨٤ م . ، ثم طبعت طبعةً ثانية في مصر سنة ١٩٠٢ م . أي بعد وفاته بسنوات لأنه انتقل الى رحمة الله في سنة ١٨٨٩ م . وهي ما تزال معدودة من ذخائر الأدب الجديد الى وقتنا هذا ؟

أحمد محمد مظهر

معايب الاتقان

في العدد الأول من المجلد الثالث من (أبولو) كتب الدكتور أبو شادي مرحّباً بـكل نقدٍ صريح يوجَّهُ الى تحرير هذه المجلة وإخراجها ، معتبراً ما يمكن أن يُظنَّ معايب أو شوائب فيها من ملازمات الاتقان لا الاهمال .

فنحن بناء على هذا الترحيب نكتب اليه بملاحظاتنا على ضوء الاخـلاص للفن وحده .

ظهرت هذه المجلة وشقت لنفسها طريقَ الحياة فى جوٍّ مكفهرٍّ عاصفٍ خَوِىّ فيه شهابان ثاقبان من شُهُبِ الشعر وأعنى بهما حافظ وشوقى ، وقد كانا قبلة كلّ ناظرٍ فزعم البعض أن الشعر قد مات بموتهما ، وانه لم يبق منه إلا نقيق الضفادع ، والحق انه كان فى الجوّ شعراء ممتازون لم يصلوا بعدُ الى درجة حافظ أو شوقى ، كما كان فى الخفاء عددٌ من شعراء الشباب يغالبون الظهور ويغالبهم .

أما الممتازون فناصروا (أبولو) أوّل الأمر قليلا ثم خذلوها أبدا ، وأما الشباب فناصرتهم (أبولو) ونبهت اليهم باخلاص حتى عُدَّ محررها بحق نصير الشباب فى وقت حقر جهودهم فيه شيوخ محترمون ونظروا اليهم بأنصاف أعينهم نظر المستهزئين !

ومن ذلك خلا للشباب وجه (أبولو) يكتبون فيها ما شاءوا . ومحرر(أبولو) مخلص ودقيق حقاً فى تمحيص كل ما ينشر بالمجلة ، ولكن ها قد مضى على المجلة عامان وهى فى أيدى الشباب فهل أحْسنَ هؤلاء أم أساءوا ؟

الحقُّ انهم أساءوا كل الاساءة ! وهذه شهادة أحدهم ! فبينما كان يجب عليهم أن ينتهزوا هذه الفرصة لصدّ الهجمات الموجهة اليهم من كل صَوْبٍ بالدراسة الوافرة والاطلاع المتشعب والانتاج الغزير فى شكل من التضامن الروحى والخلق الجميل ، إذا بهم يشاحن بعضُهم بعضاً ويحاسدُه ويظلمه ظهوراً على حسابه ومكراً به ، فاذا سألته بعد ذلك ماذا أعدَّ من انتاجٍ يواجه به هجوماً على الشباب عنيفاً وَجَدْتَهُ خِلْواً جُفاءً لا ينفع بشىء !

وما هى مجالس الشباب ؟ هى سوامر يلقى فيها أتفه الحديث عن فلان وفُلان ، أما الدراسة الأدبية المجديةُ فلا ذكر لها فيها ولا نصيب !

وإنما أذكر هذا السَّرْدَ المتألمَ الكثير لعلمى بتأثيره على تحرير المجلة وإخراجها ، وهو ما يريد الدكتور أن نُصارحه فيه الرأى ، فقد أدّى ذلك إلى ضعفٍ عام فى روح الشعر المنشور بالمجلة ، وإن الناقد البصير ليرى معنا أنه لولا بعض نماذج قليلةٍ موهوبةٍ لما كان يعدو هذا الشعر أن يكون صُوَراً متكررة يتناقلها الشعراء من بعض إلى بعض فى الأعداد المختلفة ، مع أن الشعر الفذّ الموهوب الذى له الحياة غير ذلك ، والعارفُ لا يُعَرَّفُ !

لقد حدثنى الدكتور الفاضل فى الصيف الماضى بأنه نوى أن يقصر معظم المجلة على

الدراسات النقدية المجدية والإقلال من الشعر إلا الفريد ، وأذكر حينـذاك أنى حبذتُ هذا الرأى وقلتُ إنه عينُ الصَّواب ، فلو أخذت المجلة به حقـًّا لـكان لها من ورائه غنمٌ عظيم – و(أبولو) فى الحقيقة معذورة فى ذلك لانشغالها دائماً بتقديم شباب جديد كان مختفياً من قبل ، ولـكنـَّا نستطيع أن نقول لها فى صراحة إنه لها الشكر على ما فعلت حتى الآن ويكفى أن يُظْهِرَ الشاعر بعد اليَوْم انتاجُهُ الفذُّ وشجاعته ومقدرته ، فان (أبولو) قد أظهرت فيما أظهرت الى اليَوْمِ شعراء بشعرٍ ضعيفٍ لا يرفعهم الى الصفِّ الأَوَّل !

سيأسفُ الشبابُ على هذا القول ، ولـكنـَّا نقول له أنْ لا أسَفَ ، فهذا قولُ شاب أيضاً مثلك ، ولـكنه عرف حقاً قيمة الدراسة المجدية والاطّلاع الفنيِّ ، وأىَّ ثروةٍ يجنيها المرءُ من من وراء ذلك بدل المـكابرة بالباطل وصرفِ الوقت الثمين فيما لا يفيد ، فالإخلاصُ للمبدأ هو لبُّ كلِّ فضيلةٍ ووسيلة كلِّ نجاحٍ . فليتعـاون الشباب إذاً تعاوناً روحياً خالصاً لحمته وسداه الدراسة المتواصله والانتاج الموهوب ، وليتصافَوْا خيراً لهم ، فما أحد ببالغٍ الا مجهودَهُ ، ولا يعتزّ أحد بشىءٍ من انتاجه بالغةً ما بلغت قيمته فأنهُ ليأتِيَنَّ عليه يَوْمٌ يشعر فيه أن لم يكن لذلك الانتـاج من قيمة ! وليعلم الشباب أن الفنان يموت فى سبيل بلوغ مَثَلهِ الأعلى وهو موقن أنه لا يزال قَصِيّاً .

ومع كل ذلك فنحن نشعر أن كثيراً من الضعف ناشىءٌ من التحوّل المذهبي الجديد ، ولذلك فلنا أملٌ قريب فى ظهور الانتاج القيِّم الذى لا تشوبه شائبة من النقص فى صفحات المجلة ، والـكمال لله وحده .

أما من جهة الدراسات والنقد الأدبى فنؤكد أنها سائرة فى طريق التقدم الحق ، ولـكن لا بدّ من الإكثار منها وأن تُصاغ فى أساليبَ مُحببـةٍ الى النفوس . وقد قرأنا من هـذا النوع فى عدد سبتمبر الفائت مقالين قيِّمين للأديبين السحرتى ونظمى خليل مما يُعَدُّ مثلاً أعلى لبلوغ المجهود ، كما نلحظ الاهتمام بباب « ثمار المطابع » الذى نرجو أن تزداد العناية به وأن يبقى تحريره دائماً للأيدى الضليعة المقتدرة .

ورجاؤنا أخيراً أن يُصْرَف النظر عن المخاصمات الشكلية وألاَّ يُردّ الا على الرأى الفني بردٍّ مثله ، وأما ما عدا ذلك فليس له قيمة حقيقية فى نظرنا .

ولا نشك أخيراً فى صدق الدكتور نصير الشباب والفنّ واخلاصه وفنائه فى سبيل مذهبه ومبدئه، ولذلك جئنا له فى صراحةٍ بعهدها لدينا بهذه الملاحظات التى نَعُدُّها حقّاً من معايب الاتقان ، مخلصين فى إذاعتها مرتقبين الردَّ عليها قَوْلاً إن كان فيها مَوْضعُ خطأ وإلا فالرد العمليُّ أصوبُ والسلام ؟

عامر محمد بحيرى

***

(المحرر — أحسنَ الكاتبُ الفاضلُ بما وَجَّهه من نصحٍ عامٍّ الى الشباب ، ونحن نعمل من جانبنا على الحيلولة بين بيئة أبولو وبين « أدباء » القيل والقال ، عاملين دائماً على إقصائهم عنّا . وأمّا عن أدباء الشيوخ — ومعظمهم أصدقاؤنا — فقد آثروا أن يتجّهوا اتجاهنا فى تشجيع الجيد من أدب الشباب ونشر نماذجه المختلفة ، تدعيماً لأدب الحاضر وتهيئة لأدب المستقبل ، ولذلك أفسحوا المجالَ لأولئك الشباب . ونحن لا ننشر ما يشاء الشباب ولكننا ننشر ما نختاره نحن من أدبهم بعد النقد الدقيق والتهذيب عند الضرورة ، وقد أشرنا من قبل الى طريقتنا فى ذلك . ونعتقد أنّ ما ننشره من النماذج كثير التنوّع فى المرامى والمعانى والأخيلة والأساليب وليس كثير التشابه كما يظن حضرة الناقد ، وكم كان بودّنا لو وَجَّه نقده فى صراحةٍ إلى قصائد معيَّنة ، فالفائدة كل الفائدة فى النقد التدليلى الصريح . وأمّا عن قصر اهتمامنا على النقد الفنى الذى يُوَجَّه الينا دونَ المبالاة بما عداه فهو خطتنا العامة ، ولم نخالفها أحياناً إلا لاعتبارات ضرورية تتصل بجهودنا الأدبية وعلاقاتها ببيئات الأدب مما يستحقّ البحث والتسجيل)

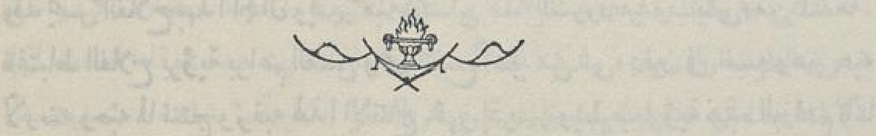
شعر الشباب

إذا كانت الآداب والفنون فى مصر الآن لم تتقدم عما كانت عليه فى الجيل الماضى فان هذا يسمونه التدهور والانحطاط — ولكننا نشعر أننا نرتقى سلم الزمن رافعين معنا الأدبَ والفنّ ، ونشعر أن الجيل الحاضر أرقى من الجيل الماضى فى كلّ شىء.

ولقد قرأتُ فى صحيفة (الأهرام) بتاريخ ٢١ اكتوبر سنة ١٩٣٤ قطعة شعرية لشاعر صغير أعرف أنه لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره — قطعة لم يستطع معظم شعراء الشيوخ أن يقولوا مثلها وهم فى سنه ، ومع هـذا فإن أنصارهم يقولون بجرأة وثبات أن شعر بعض هؤلاء الشيوخ هو شعر الجيل القادم ! ما معنى شعر الجيل القادم ؟ لا نستطيع أن نؤوّل هـذه العبارة إلا بأن الذين يؤمنون بها وإما أنهـم لا يفهمون شعر هؤلاء الشيوخ ولذلك يتركونه للجيل القادم يفهمه ويقدره ، وإما أنهم لا يؤمنون بتقدّم الفنون مع الزمن ! وفى اعتقادى أن أى مخلص بين هؤلاء الشيوخ لا يقبل هذا الـكلام على شعره وإذا قبـله فهو مسرفٌ فى غروره ، كريم فى اعطاء شعره ما لا يملك إعطاءه !

وأحبّ أن أقول بعد هذا كله أن شعراء الشباب إن لم يكونوا أقوى من شعراء الشيوخ الآن فغداً سيكونون ، وأن الشعراء الناشئين فى غدٍ سيكونون أقوى من شعرائنـا الشبان . وهـكذا يتقـدم الفنّ مع الزمن ولا تعوقه ضوضاء الجهـلاء وصراخ المجانين ؟

مأمون الشناوى





وراء الغمام

نقد وتحليل

يقول صمويل بتلر Butler : « إذا كان مخترعو الآلات قد أضافوا الى النوع البشرى أشياء هى بمثابة الأعضاء المساعدة لجسمه ، فان الشعراء قد منحوه منحة أشرف وأسمى إذ فتحوا نوافذ جديدة فى أرواحنا » .

ومما لا شك فيه أن بتلر لم يعن كلّ الشعراء وانما أراد فئة قليلة منهم هى التى تشعر بما حولها من أشياء ، تلك الأشياء التى قد يراها الناس جميعاً فلا يحسون بها وإن لم يستطيعوا أن يوصلوا هذا الاحساس للآخرين . فكلنا شعراء - الى حدّ ما - كلنا نشعر بما حولنا ونحسّ بوجودنا كل على حسب استعداده لهذا الشعور والاحساس . فالفلاح فى حقله يحس بجمال الطبيعة ويشعر بالغبطة والسرور وهو ينظر الى سنابل القمح وأعواد الذرة وشجيرات القطن ولكنه لا يستطيع الافصاح عن هذا السرور فيبقيه فى نفسه بين جوانب صدره يخفق به قلبه ويتمايل منه جسمه وتنشرح له أسارير وجهه. وقد يحسّ الفلاح بهذا الجمال ويسرّ منه، ولكن هذا السرور مشوب بشىء من المنفعة. فاغتباط الفلاح برؤية براعم القطن وهى تتفتح آتٍ من شىء دفين فى نفسه وهو حبه لأرضه وحبه لما تنتج وترقبه لهذا الانتاج . فهو إذ يسر ويطرب لرؤية هذه البراعم فانما يسر لأمل كان يتحقق ولثمرة تعب أو شكت أن تنضج ، أما سرور الشاعر لرؤية هذه البراعم فانه سرور بالجمال الخالص — الجمال الصافى الذى يحسه ويتبينه فى هذه البراعم الخضراء وهى تخرج أحشاءها بيضاء ناصعة .

قد يكون إحساس الفلاح بالطبيعة عميقاً وصادقاً كاحساس الشاعر، ولكن الشاعر أقدر منه على توصيل هذا الاحساس الى قلوبنا . ومن أجل ذلك كان أعظم الشعراء

ذلك الذى يحس بالاشياء التى تحرك قلوب الناس ويستطيع أن يمس قلوبهم جميعاً . ومن أجل هذا أيضاً نرى شكسبير الذى أخذ قلبه من قلب الانسانية جمعاء ونطق لسانه بلسان جميع الناس يجلس فوق عرشه باسماً لا يدانيه انسان ومن أجل هذا أصبح يدعى شبيه الآلهه.

أحسستُ بهذا كله عند مطالعتى لديوان الدكتور ناجى . وكنتُ قبل ذلك أعتقد أن ليس عندنا من الشعراء الذين وهبوا حساسية غزيرة وقدرة فائقة لا على الافصاح عن شعورهم فحسب بل على تحريك قلوبنا لنشاركهم هذا الشعور . فناجى فى قصيدة « قلب راقصة » لا يفصح عن مشاعره وميوله فقط بل يدفعنا نحن دفعاً لأن نشاركه مشاعره وميوله ، فكأنه وقد ضاق بما حوله وقصد إلى ذلك الملهى الحافل بفنون اللهو والطرب فى شغف وشوق عظيمين وقد رأى القوم وما هم فيه من طرب وصخب وضجيج وعجيج :

ومصفقين علت أكفهم فوارة فكأنها الزبدُ

قد هاله هذا المنظر ولعبت بلبه تلك الأنوار الزاهية فدفعته لأن يصيح عالياً من فرط غبطته وسروره :

لم لا أثور اليومَ ثورتهم لم لا أجرّب ما يجبونا ؟
لم لا أصيح اليومَ صيحتهم لم لا أضجّ كما يضجونا ؟

وهو فى صيحته هذه يغرينا بل يدفعنا إلى أن نصيح معه قائلين :

لم لا نثور اليوم ثورتهم لم لا نجرب ما يجبونا ؟
لم لا نصيح اليوم صيحتهم لم لا نضجّ كما يضجونا ؟

كثيراً ما رأينا مثل هذه المراقص والملاهى وكثيراً ما شاهدنا حفلات حية زاخرة بفنون الطرب والسرور ، ولكننا قلما أحببناها مثلما أحببنا هذه ، وقلما اندفعنا اليها كما اندفعنا إلى هذه ونحن سكارى من خمر الشعر . كثيراً ما شاهدنا مثل هذه الملاهى ولكننا لم نفطن لجمالها : هذا الجمال المستتر الذى لم تستكشفه إلا عين شاعر نافذة فأبرزته لنا فى أحسن صورة وفى أنغام موسيقية واضحة كاملة النغمات منسقتها فى كلام منتظم لا يحتمل تحويلاً ولا تبديلاً .

ثم يصوّر الشاعر تلك الراقصة تصويراً دقيقاً بارعاً ويصف ما هى عليه من جمال طبيعى وحسن فاتن كأنها الطير يثب من غصن إلى غصن وقد علق فؤاده بها :

كالطير من غصن الى غصن وثّابة وثبَ الفؤادُ لها

ثم يصفها وقد أحاط بها عبادُ الشهوة وأفعم الحزن قلبها وعلا وجهها الوجومُ وهى تنظر متألمة لحالها ، حانقة على ما هى عليه من سعادة ظاهرة ونعيم خلب كاذب . ثم لا يكاد يتحدث اليها حتى تأخذه الشفقة عليها ويختم قصيدته باكياً لمأساة هذه الراقصة المسكينة التى تعيش على كواذب الآمال وخوادع الأمانى :

أفديك باكية وجازعة قد لفها فى ثوب الغسقُ
ودعتُها شمساً مودّعةً ذهبت وعندى الجرح والشفقُ

ولقد أحسّ وأنا أتلو هذه القصيدة بشىء غريب لم آلفه قبل الآن فى الشعر العربى وهو هذا الاسلوب الشعرى الدافق الذى يقترن دائماً بتلك الحركة السريعة التى يفصح عنها .

ولست أشك فى أن القارىء لهذه القصيدة سيشاركنى شعورى هذا ، ولست أشك فى أنه سيحسّ بالقوة الفعالة الحية لروح الشاعر التى تكمن فى كل بيت من أبيات الديوان .

وإنى أرى أن هذه القصيدة أبدع مثال للمطابقة بين الموضوع وصداه .

وثمة نقطة أخرى جديرة بالبحث وهى استقصاء الصلة بين روح القصيدة ووزنها وبحرها لنرى كيف تشكل الروح الجسم :

كل إنسان فى الغالب يجد لذة فى الموسيقى ، إلا أن البهجة والسرور فى الشعر متعة قد لا يتبينها إلا أولئك الشعراء القلائل . وإن أكبر الخطأ أن نغفل أن الشعر قد وُلد من الموسيقى وأنه صورة منها ، فان تأثيره الاول يصل الى العواطف عن طريق الأذن مباشرة ، وهو من هذه الناحية أسمى لغة عالمية كسائر الفنون الرقيقة .

وللموسيقى القوة الكافية لأن تصل عاطفة الشاعر بغيره بعيداً عن المعنى الحرفى للكلمة . ولقد أثبتت التجارب العديدة أن الأطفال لا يتمتعون فقط بسماع الموسيقى الشعرية فى لسان غير لسانهم ولكنهم يحسون نداءها العاطفى ويتأثرون به .

قرأتُ مرة أن رجلاً قرأ قطعة شعرية عن هوميروس لصبية لا تزيد سنهم على الاثنتى عشرة ولم يكونوا يعلمون غير لغتهم الأصلية فأصغوا إليه بآذان مرهفة وأخيراً أخبروه بأنه كانت هناك معركة حامية ثم نشيد الانتصار ، وهو بعينه مادة القصيدة !

فالوزن والقافية هما أظهر العناصر فى موسيقى الشعر . ومن أجل هذا كانت القصص الشعبية Ballads تأخذ أصلها من الأصوات الخارجة من روح الشعب رأساً وإن لم تدل على شيء .

قد تكون هناك قصائد محتوية على شعر جيد لكنه يعجز عن أن يكون شعراً سامياً لافتقاره إلى الموسيقى . وعلى هذا كل من يقرأ الشعر لمعناه ولما فيه من أفكار يكون مجحفاً بحقوق الموسيقى ، وشعر ناجى غنى بموسيقاه كما هو غنى بصوره ومعانيه .

فكل من يقرأ قصائده «العودة» و«الحياة» و«الوداع» و«الغد» يحس موسيقى النظم والقافية . انظر إلى هذا الكلام المنسجم الجميل :

فركبنا الوهم نبغى دارها وطوينا الدهر والعالم طيا
فبلغناها وهللنا لها ونزلنا الخلد فيناناً نديا

فهنا موسيقى أدق وألطف من الوزن والقافية . هذه الموسيقى تتبينها فى اختيار الشاعر للألفاظ الموسيقية فى نظامها المتسق الدقيق ، وهذا السحر المشترك بين النظم والنثر هو سر عظمة الأسلوب فى الاثنين . ولكن هذا الجمال دقيق للغاية ، كما أن تفهمه يعتمد فى الغالب على التنغيم الكامل وطريقة النطق بالمقاطع فليس المعنى هو الذى يحركنا ويهز مشاعرنا ولكنه القول . ليس الموضوع ولكن طريقة عرضه له وتمثيله . فالشاعر فى هذه القصائد قد عرض علينا جانباً من شيء وليس الشيء نفسه ، وهو الذى كما يقول أفلاطون « لا نستطيع أن نراه على حقيقته » .

وليس لنا أن نطالب الشاعر بشيء معين أو أن يأتى لنا بالصور التى نحبها ونشتهيها وإن كان فى قدرة الفنان العظيم أن يخلق من الأشياء الجافة الخشنة سحراً عجيباً . بيد أنه لا يُعنى بصدق الشيء كما هو ولكن بذلك الأثر الذى يتركه فى نفسه . فاذا تألم الشاعر لهذه الراقصة :

أفديكِ باكيةً وجازعةً قد لفها فى ثوبه الغسقُ
ودعتها شمساً مودعةً ذهبتْ وعندى الجرحُ والشفقُ

وجب علينا أن نتقبَّل منه هذا القول ما دمنا نشعر أنه مخلص فيه . وليس لنا أن نتحرَّى الصدق فى هذا الكلام ، فالاخلاص شيء والصدق شيء آخر . ونحن

يمكننا أن نطالب الفنَّانَ بالاخلاص لفنه وليس لنا أن نطالبه بالصدق ، لأن الفن تعبير عن حالة الفنان وليس تمثيلاً لحقيقة معيَّنة . فقد يرى الشاعر وهو فى دور المحب الوامق البحر يبسم له فى فرحة ويسمع الرياح تهمس باسم حبيبته ويرى النجوم تنظر إليه بعين راضية محبَّة ، وقد يرى نفس الشاعر فى دور المحزون نفس البحر يتجهم له ويقسو عليه ويسمع الرياح تسخر من تأوهاته ويرى النجوم الباردة تنظر إليه بعين الازدراء والمقت المرير !

إن واجبنا الآن هو أن نكشف عن تلك البهجة التى نجدها فى استيعابنا جمال هذه الأوصاف ، واجبنا هو أن ندرس الفن الذى أبدعها . فاذا قرأنا :

وجرت يمينى فى غزيرٍ حالكٍ مسترسلٍ كالجدولِ المنسابِ

أو :

وأنفقَ فيـه قلبـه وشبابه فلم يبق إلا الجرح والشفق الدامى

نجد أن أجلَّ صفات هذه الصور الشعرية الجميلة هى دقتها التامة ، وهذه راجعة أولاً الى تحديد الصورة وجعلها واضحة ، وثانياً الى احساس الشاعر الفطرى ، وثالثاً الى حسن اختيار الصفات والتوافق التام بين الجرح والشفق . هذه مزايا قد يستعصى علينا شرحها أو إدراكها على حقيقتها ولكننا نحسها ونتأثر بها .

بهذه المزايا جاء شعر ناجى واضحاً جلياً لا يحتاج الى شرح ولا تفسير . ومن أجل ذلك نشعر بجمال هذه الأبيات عندما نتلوها لأن عاطفة الشاعر الجياشة وإحساسه الغزير قد اتخذا صوراً مناسبة لهما . وهذا ما يجب أن تكون عليه كل الاساليب الشعرية . فاذا اتخذت العاطفة شكلا غير فنى كانت النتيجة لا شعراً ولا نثراً ولكن نوعاً من صدى الشعر والنثر . وعلى ذلك عندما نقرؤها لا نتأثر بها لأن صدى أى شىء لا يوقظ إلا ظلاً ضعيفاً جداً من العاطفة أو الشعور المريض .

ففى قصيدة « العودة » يبلغ الشاعر من قوة الوصف ودقة الافصاح عن ذلك الشعور السامى والحنين القوى لدار أحبابه القديمة فهو لا يقف أمام هذه الدار وقفة العابد أمام محرابه فى وحدته وثباته يرنو الى هذا البيت الخرب كما يرنوا العابد الى الاله المقدس ، بل اذا ذكر هذه الدار فانما يذكر صلاة الحب التى كان يقيمها فيها ثم لا يقف عند هذا بل يصف ذلك التجاوب القوى والامتزاج التام بين نفسه ودار أحبابه :

هـذه الكعبة كنا طائفيها والمصلين صباحاً ومساءَ
كم سجدنا وعبدنا الحسنَ فيها كيف بالله رجعنا غرباءَ !؟

هذه الوقفة شبيهة بوقفة الشاعر العربي القديم أمام أطلال حبيبته من حيث صدق الشعور والاحساس : فكما أن الشاعر القديم كان يشكو تهدم الديار وإقفارها ورحيل أحبابه عنها ، كذلك يقف شاعرنا اليوم من هذه الدار وقفة الشاكر العاتب عليها ، فهي لم تلقه ولم تبسم له كما كانت تلقاه وتبسم له .

ولا يقف شاعرنا عند هـذا بل يعود إلى قلبه الذي يرقص من الألم بين جنبيه يهدئه ويواسيه ، فلا القلب يتئد ولا الجرح يلتئم ولا الدمع يرقأ ، بل يبقى في حيرة وألم وسخط على هذه الحالة التي وصل إليها ويتمنى لو أنه لم يكن قد عاد إلى هذه الدار ويتمنى لو أنه فرغ من هذا الحنين والألم الى فراغ كالعدم !

وهو مصور بارع يصور لنا البلى :

والبلى أبصرتُه رأى العيانْ ويداه تنسجان العنكبوتْ !

ويشفق على هـذه الدار من هـذا كما يشفق عليها من الاقفار والخلو فيصيح صيحة الوجل المشفق :

صحتُ : يا ويحك ! تبدو في مكانْ كلُّ شيء فيه حيٌّ لا يموتْ !

ثم يطول به الطريق فيلقى جبهته على باب داره حزيناً مطرقا :

وطني أنت ولكني طريدْ أبديُّ النفس في عالم بؤسي
فاذا عدتُ فللنجوى أعودْ ثم أمضي بعد ما أفرغ كأسي!

***

وناجى شاعر رومانطيقي من حيث الشعور بالدهشة sense of wonder والشعور بالحزن والألم sense of melancholy :

عبثتُ بالدنيا وأسرارها وما احتيالي في صموت الرمالْ
أنشد في رائع أنوارها رشداً فما أغنم إلا الضلالْ !

وهو يقف من هذه الحياة حائراً ، ثم هو يشك في قيمة هذا الجمال الذي يراه ويتمادى به الشك فيجعله يزهد فيه ويزدريه ، فلا يرى فيه إلا نذيراً بالفناء والعدم :

وانظر إلى سيارةٍ كالأجلْ تخطف خطفاً لا تبالى الزحامْ

هذا الردى الجارى اختراعُ الرجلْ هل بعد صنع الموت شىٌ لا يرامْ ؟!

فهو يسخط على الحياة ، ويسخط على الانسان ومايأتيه من أعمال مدمرة مهلكة. يضيق بهذا كله فيعيش فى ألم وتنغيص لأنه وقف على حقيقة هذه الدنيا :

مزّقت عن عينى هنىّ السنينْ لأننى مزّقتُ عنك القناعْ ؟!

ثم هو ينظر إلى الحياة ومشاقها وما يلاقيه الناس من ظلم واضطهاد فى سبيلها نظرة انسانية شاملة كلها عطف واشفاق ، ثم يتساءل أخيراً :

يا حسرتا مما يلاقى العبادْ ! أكلّ هذا فى سبيل الحياةْ ؟!

والشاعر قد يتبرم أحياناً مما حوله ويضيق بالناس فيأوى إلى مكان منعزل يضرب فيه الظلام ، فهو شاعر رومانطيقى تساوره القلاقل والشكوك ، وهو فى هذا يشبه شيـلى ذلك الشاعر الحالم الذى ضاق بالدنيا فأراد أن يعيش فى جو من خيالات روحه الحالم . فهو يزهد فى الحياة الحقيقية ، الحياة الواقعية الصخّـابة ويتمنى لو أنه استطاع العيش فى ظلال الوهم والخيال :

يا حقبة الوهم والخيـــــال هلاّ تمهلتِ للأبدْ ؟!

أو :

دع النفس تمرح فى خيالٍ وأوهامِ وخلّ لأجفانى كواذبَ أحلامى

وفى قصيدة « الميعاد » يفصح الشاعر عن تلك العاطفة القوية السليمة ، عاطفة الحب الراسخ الثابت الذى لا يقيم وَزْناً للصد أو الهجر ، سيان عنده الرضى أو السخط ، وسيان عنده العودة أو البعد . فهو حب قد نبت فى قلبه وتغـذّى بدمه يستحيل الانفصال عنه :

إن عدت أو أخلفت لم تَعُدِ أنا إلفُ روحك آخر الأبدِ

ظمأ على ظمـــــأ على ظمأ وموارد كثر ولم أردِ

فان هذا الظمأ فوق الظمأ مع وجود كثير غير من يحب ، وهو مع ذلك لا يلتفت الى هذا العدد الكثير، بل يصبو قلبه دائماً الى حبه الأول، لشاهدٌ قوىٌ على توكيد هذا الشعور الصادق والثبات فى الحب .

بيد أن العاطفة وحدها ليست شعراً ولكنها روحه التى تدفعها الى قراءته والتى نحسها فنتأثر بها . وهذه العاطفة لا يظهر أثرها قوياً كاملا الا اذا أخذت لها ثوباً فنياً جميلاً . هذا الثوب الجميل هو الاسلوب الشعرى الموسيقى الذى يصل الى أوتار القلب فيهزّها هزاً . وسيجد متصفح الديوان كثيراً من هذا التمازج القوى بين العاطفة والأداء الجميل مثل هذا الاستهلال الرائع فى قصيدة «رجوع الغريب» :

عادت لطائرها الذى غنّاها   وشدا فهاج حنينها وشجاها

أى الحظوظ أعادها لوفيها   ونجىّ وحدتها وإلف صباها

وناجى فى قصيدة « خواطر الغروب » يقف أمام البحر ويطيل الوقوف والاصغاء الى صوت أمواجه المزبدة الصاخبة ولكنه يعجز عن فهمه والكشف عن أسراره وأحاجيه ، فهو يشعر أمامه بشعور الاجلال المصحوب بالخوف والروعة المصحوبة بالضعف والاستكانة :

انما يفهم الشبيهَ شبيهٌ   أيها البحرُ ! نحن لسنا سواء

أنت باقٍ ونحن حربُ الليالى   مزّقتنا وصيرتنا هباء

أنت عاتٍ ونحن كالزبد الذا   هبِ يملو حيناً ويمضى جفاء

هذا الشعور صادق لأن ناجى لم يألف البحر ولم يتعود ركوبه . فهو إن رآه أكبره ولكن فى خوف ، وهنا يذكرنى بالشاعر الانجليزى المحبوب بيرون - والشىء يذكر بنقيضه كما يذكر بشبيهه - لأن « بيرون » يقف أمام البحر وقفة الرجل أمام الشىء المألوف عنده فهو يجله ولكنه لا يخشاه ، بل يقبل عليه فى طمأنينة وابتسام ويمر يده على لبده المتكاثفة كأنه الشبل قد أوى الى ليثه . فيقول : « اصطخب أيها المحيط الأزرق العميق ! اصطخب ! إنك المرآة البديعة التى تظهر عظمة القادر فى العواصف والزعازع ، فى سائر العصور وفى كل الأمكنة ، فى الاصقاع القطبية وفى المناطق الحارة . أنت رمز الأبدية وعنوان مجد الله فى سكونك واضطرابك . أيها المحيط لقد أحببتك ، وعلى صدرك كانت ملاعب صباى ومواطن سرورى . كنت أعبث بأمواجك صبياً ، فقد كان ذلك أعظم سرورى . فان جعلها البحر الزاخر رعباً فما أحبه رعباً . كنت ألجأ إليك كأنك أبى ، وأخلد الى أمواجك القريبة والبعيدة وأمرّ بيدى على لبدتك المتكاثفة كما أفعل هنا الآن .

فبيرون اذا أوى الى البحر فانما يأوى إليه كما يأوى الطفل الى أمه أو أبيه حيث يجد فى صدره سلوته وعزاءه ، واذا ركبه فانما يركبه كأنه يركب جواده الأصيل الذى اعتاد ركوبه . فهو يقول :

« مرة ثانية الى الميـاه ! مرة ثانية والامواج تقفز تحتى كأنها جواد يعرف راكبه ! مرحباً بزائير البحر ! فليكن الطريق ناعماً ليناً حيث أذهب كعود يابس يسبح فى لجج المياه دفعته الصخرة الى المحيط المزبد ، فلأبحر حيث الموج العظيم يتلاطم وعاطفة القلب تشتدّ وتقوى » .

أما ناجى فاذا أوى الى البحر فانه لا يشعر بذلك التجاوب الذى يشعر به بيرون بل إنه يعجب من ذهابه إليه :

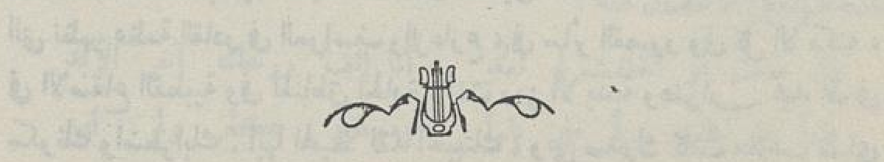
وعجيبٌ إليك يممتُ وجهى إذ مللتُ الحياةَ والأحياء

أبتغى عندك التأسى وما تـ ـلك ردّاً ولا تجيب نداء

ولـكنه على كل حال صادق فى شعوره مخلص لفنه ، وليس لنا أن نطالبه بأن يكون شعوره مطابقـاً لشعور بيرون فيرى البحر كما يراه بيرون . ليس هذا ما نطالبه به ولـكننا نطالبه بالاخلاص لشعوره الشخصى ، الاخلاص لفنه الخاص ، وهذا ما نحسه فى هذه الأبيات وهذا هو عمل الفنان العظيم ؟

نظمى خليل

(بكالوريوس فى الأدب الانجليزى)





فى مولد السيدة زينب

ضحكنا للهمومِ وقلتُ هيّا ... نُضِلُّ همومَنا بين الزِّحامِ !
فسرنا فى مواكبَ حاشداتٍ ... تَدفّقُ كالظلام على الظلامِ
ولا يُجدى عليها النورُ إلّا ... كما تُجدى تهاويلُ المنامِ
فودّعنا التنفّسَ حين سِرْنا ... فكيف إذنْ بتوديعِ الكلامِ ؟!
وأظمأَنا الزِّحامُ فما شربنا ... سوى فرط الأُوامِ على الأُوامِ
وكنا قد نسينا السُّحبَ حتى ... رأينا البدرَ يَسبح فى الغمامِ
ويَشرب راحَه ، ولكم شربنا ... من الأضواء راحَ المستهامِ
ولكنْ هذه ساعاتُ وَهمٍ ... تخلّتْ عن تعلّاتِ الغرامِ
وقد ثار الغبارُ فصار مَغْنًى ... لغيرِ السِّلمِ فى مثل القتامِ
ونحن نسيرُ إعجازاً كأنّا ... خُلِقنا للزحامِ بلا عظامِ
نسيرُ ويدفعُ التيّارُ دفعاً ... جُسوماً فى مواجهِ الجسامِ
كأنّ (النيل) فاض فكان خَلقاً ... وكان حطامُهُ صُوَرَ الطّغامِ
وكم مِنهم وَليٌّ فى ثيابٍ ... مضمّخةٍ بألوانِ الحرامِ
يَشقّ الجمعَ مزهوّاً قريراً ... وليس سواهُ من أهل « المقامِ »
كأنّ معالمَ الزينات قامتْ ... تتوّجه على المُهجِ الدّوامى
يبارك كلَّ مكلومٍ عليلٍ ... ومِنْ أمثالهِ عِللُ الكلامِ
وتُلثَمُ راحتاه ، وليس أَوْلى ... بلثمهما سوى حدِّ الحُسامِ

مَهازلُ فى المواسم صارخاتٌ ... كأنَّ الرُّشدَ نُهْزَةُ الانتقامِ
إذا راجت بها الأسواقُ كانت ... رواجاً للرذيلةِ والتعـــامى
مواكبُ ما لها عَقلٌ وإلاَّ ... فأحلامٌ تنوءُ بالاصطدامِ
كأنَّ البعثَ أخرجها مَرايا ... لأنواعِ الخصومةِ والوئامِ
نَسيرُ وَيزخرُ الميدانُ حتى ... لَيزخرُ بالكرامِ وباللئامِ
قد انسجموا على صُوَرِ اضطرابٍ ... فساءت فى اضطرابٍ وانسجامِ
وألوانُ الطعامِ تفوح حتى ... تُخالَ سلاحَ أعداءِ السَّلامِ
«فللأحشاء» ما شاء المنادى ... تهـــاويلُ الدعاية للحِمامِ
«وللأرز» المفلفل فى صَوانٍ ... صِياحٌ جرَّ أنواعَ الخصامِ
«وللحلوى» على العرباتِ نجوى ... لشوقِ الأمِّ أو شوقِ الغلامِ
تموج الطرْقُ بالآلاف موجاً ... نشاوَى أو ضحايا للسقامِ
فليس بهمْ لمبتسمٍ مكانٌ ... فإن يَبْسِمْ تَعَثَّرَ فى ابتسامِ
وتنبح بينهم بالزَّمر شتى ... من العرباتِ أو قُطُرِ الترامِ
كأن الحشدَ أرهقها جُنوناً ... فلم تعبأ بمعنى الاحتشامِ
تَعلَّقَ كلٌّ منكوبٍ عليها ... فما لاحوا بها مُثُلَ الأنامِ
وطبّل غيرُهم والرَّقصُ يَدْوى ... وأعلامُ المشايخ فى احتدامِ
وأمواجُ الجموع تُصَبُّ صَبّاً ... الى حَرَمِ الزِّيارةِ فى غرامِ
وأخرى فى تَدَفُّقِها حَيارَى ... وقد أوْدَى بها عَبَثُ الحرامى
وهذا القردُ يلعب فى سرورٍ ... كأن سرورَهُ سُكر المدامِ
وهـذا البهلوانُ الطفلُ يمشى ... على رأسٍ تدحرجَ فى الزحامِ
وهـذي الطفلةُ الحسناءُ تلهو ... برقصٍ للأنوثةِ فى اضطرامِ
مَفَاتِنُها بعيْنيها تراءت ... فكيف إذا رأت دَوْرَ الاثامِ ؟!
وكم من باعةٍ سرحوا وكانوا ... شُكولَ النابغين مِن الاثامِ

وكم فوق الحوانيت ابتهاجٌ بأضواءٍ كأوسمةٍ سوامى
وعند الجامع المعبودِ شتىً من الزينات مشرقةُ النظامِ
يَضيع جمالُها وكأنَّ مرأى مفاتنها حُطامٌ فى حُطامِ
كمرأى الجائعين وقد تهاوَوْا على قِصَعِ الدنىء مِنَ الطعامِ
ومرأى كلّ فلاحٍ شَرودٍ فما يدرى الوراءَ مِن الأمامِ
ومرأى كلّ غانيةٍ لعوبٍ أحقّ مِن المُهارةِ باللجامِ
ومرأى كلّ راضعةٍ وباكٍ وساقى الشربِ كالموتِ الزؤامِ
ومرأى كلّ شحّاذٍ أصيلٍ يلوح بهزّةِ البطلِ الهمامِ
ومرأى اللاعبين وإنّ منهم لأحلامَ الطفولةِ كلَّ عامِ
ومرأى التائهينَ وليسَ فيهمْ سوايَ أضلُّ فى هذا الزحامِ !

أحمد زكى أبو شادى

موكب التراب

فى يوم من أيام الصيف الشديدة الحرّ كان الشاعر جالساً مع بعض أصحاب له أمام داره فهبت ريح شديدة أثارت الغبار وعقدته فى الفضاء كالسرادق . وكان فى مشهد الغبار ما حمله على التفكير فنظم القصيدة التالية :

مِنْ أينَ جئتَ ؟ وكيف عُجتَ ببابى يا موكبَ الأجيالِ والأحقابِ ؟
أمِنَ القبورِ ؟ فكيف مَنْ حلوا بها أهنـاكَ ذو ألمٍ وذو تطرابِ ؟
ولهم صبابات لنا ؟ أم غودروا فى بَلقعٍ ما فيه غيرُ خرابِ ؟

* * *

أمررتَ بالأعشابِ فى تلك الرُّبى وذكرتَ أنكَ كنتَ فى الأعشابِ
حولَ الصخورِ النائماتِ على الثرى وعلى حواشى الجدولِ المنسابِ ؟
وعلى مَ تصعدُ كالسحابةِ فى الفضا وإلى الترابِ مصيرُ كلِّ سحابِ ؟

لمّا طلعتَ على الشعاع موزّعاً مترجرجاً كخواطرِ المرتابِ
وذهبتَ في عَرْضِ الفضاء كخيمةٍ رُفِعَتْ بلا عُمُدٍ ولا أطنابِ
قال الصحابُ لِيَ استترْ ا وتراكضوا للذعرِ يعتصمونَ بالأبوابِ
وهَبْ اتّقيتُكَ بالحجاب فانني لا بدَّ خالعهُ وأنتَ حجابي
كم مارحٍ في غابةٍ عندَ الضحى جاءَ المساءُ فكان بعضَ الغابِ
ومصفّقٍ للخمرِ في أكوابهِ طرباً وطيفُ الموتِ في الأكوابِ
أنا لو رأيتُ بك القَذَى محضَ القذى لسترتُ وجهي عنكَ مثل صحابي
لكنْ شهدتُ شبيبةً وكهولةً ومُنًى وأحلاماً بغيرِ حسابِ
والشاربين بكلّ كأسٍ والالى عاشوا على ظمأٍ لكلّ شرابِ
والضاربين بكلّ سيفٍ في الوغى والخانعين لكلّ ذي قرضابِ
والصّارفينَ العمرَ في سُوقِ الهوى والصّارفينَ العمرَ في المحرابِ
والغيدَ بين جميلةٍ ودميمةٍ والعاشقين — الصبّ والمتصابي
والعبدَ في أغلالهِ وحبالهِ والملكَ في الديباجِ والأطيابِ
آبوا جميعاً في طريقٍ واحدٍ الخاسر المسبيّ مثلُ السابي
فضحكتُ من حِرصي على ملك الصبا وعجبتُ كيف مضى عليه شبابي
ووقعتَ أنتَ على ترابِ ضاحكٍ لما وقعتَ عليَّ في جلبابي
وكذاكَ أشواقُ الترابِ مآلُها ولئِنْ تقادمَ عهدُها لترابِ ا

ايليا أبو ماضي

اخلاقهم

يَشمخُ قومٌ بمالهم ولقد سيموا به ذِلّةً فما شمخوا
وانتفخوا مرةً فمذ بَصروا بالسيف ناموا له فما انتفخوا
تطلّبوا خُطةً وليس لها في الناس الا غطارفٌ رُسُخ

وَمَن رأى السيفَ ثم لانَ له — فالرأسُ منه لابد مُنشَدِخُ
تَلاوذوا يطبخون أمرهمو — فكان للخسر كلُّ ما طبخوا
واحتضَنُوا بيضةً مذ افترُخَتْ — سالت، ألا ساء ما بها افترخوا!
وانسلخَ الليلُ والنهارُ فما — فاتوا عمايانهم ولا انسلخوا
واقتعدوا الأرضَ وهى ليس بها شىء عن الشغل ثَمَّ منسلخُ
ففوقها الريحُ والسحائبُ والـ — نارُ وفيها المنابعُ النُضُخُ (١)
تعللوا بالسماء تمطرهم — رزقاً وباتوا للذلِّ قد رضخوا
لم يَدفعوا للعُلى فكان لهم — خَطْوٌ ولم يُنتَخوا لها فَنُخُوا
إنَّ الجمادات إذ تُرادُ على الـ — إذعانِ تُلفَى هناك تُرتضخُ
فتجهدُ المعملى سواعدهم — فهى بفرطِ الاجهادِ تنفضخُ
وهم لَقًى إن أرادهم شكسٌ — على اهتضامٍ تزايلوا ورخوا
كأنهم وَهْيَةٌ قد انسربَتْ — عن عنكبوتٍ تطيرُها النفخُ
ولم يكن ذُلهم وهم شِيَخٌ — لكنهم أذعنوا وهم شُرُخُ (٢)
وهمُّهم نفخةُ الوظائفِ والـ — فارغُ فى القوم كان ينتفخُ
لو لم يكن فارغاً لما امتلأت — حقواهُ حتى لكادَ ينفسخُ
تلقى الفتى منهمو يُخال أخاً — وهو اذا ارتَشَتْ لاحُصصتْ أخُ (٣)
يخون ذا الصدقِ والوفاء ولن — ينبتَ بقلاً على الحيا السَّبِخُ (٤)
يُضحى نقىَّ الثيابِ مونقها — والعرضُ منه بالذامِ متّسخُ
مستعظمٌ وهو غيرُ ذى نُمرٍ — كما تعالى واستعظمَ اللَّبَخُ
تشابهَ الكلُّ فى مثالبهم — فالبعضُ منهم عن بعضهم نُسَخُ
لهم خِلالٌ لو صُوِّرت قَبُحتْ — كأنهم فى خِلالهمْ مُسِخوا

(١) نَضخَ الماء تفجر من جوف الأرض . (٢) شيخ كعنب جمع شيخ .
(٣) المحصوص الذى نتف ريشه (٤) الحيـا بالقصر المطر .

كم نقضوا من يَدَيْ محالفهم عقودَ ميثاقهم وكم فسخوا

أقول مستصرخاً وأعلمُ أن ليس لحُرٍّ في القوم مصطرَخُ

بالله والله قاهرٌ أبداً به تظلُّ الأمورُ تنفسخُ

ليحذروا غبَّ ظلمهم ، فدمُ الظا لم يوماً بثوبه لطِخُ

لا بدَّ مِن ساعةٍ بها يسأل الأقوامُ ما فرّطوا وما بذخوا

فيا اناسٌ همُ الأذلةُ في الرَّوعِ وهمْ في السلام همْ شُمُخُ

اني لألقى الدنيا فأبصرها وجهاً نقيّاً أنتم به وسَخُ

لا تحقروا القردَ إنّ خلقته أصلٌ صحيحٌ وأنتمو مِسَخُ

ضلّ الأُلى يوقدون خامدَكم فانهم في الرمادِ قد نفخوا

والشّيْخُ(١) مِن غيركم يُظنّ فتىً بأساً وأنتم فتاؤكم شَيَخُ

أين الذي يُرتجى لمعضلةٍ في الأمر منكم والأمر مؤتلخُ (٢)

لا يُذكر الفضلُ بينكم ، ومتى يذكرْ لديكم يُكرَّمِ البذخُ

ما للسجايا الحسانِ مفخرةٌ فيكم فكلٌّ بغيّه جَفِخُ (٣)

دواه قلبي مصيبةٌ عَمَمٌ طخياءُ منها الآذان تنضمخُ (٤)

تأتي عليكم فالكلُّ منعفرٌ مُلقى على القاع شِلوهُ زَنِخُ

أو تُصبحوا رفعةً لمرتفعٍ يعلو بكم قدرُه وينشمخُ

حبيب عوض الفيومي

---

(١) الشيخ كالقصب الشيخوخة (٢) مؤتلخ أي مستحكم (٣) الجفخ الفخور
(٤) طخياء ثقيلة مدلهمة ، وتنضمخ تصم .



الشاعر البشبيشي

كلما دار الفكرُ وحُرِكَ له العنان تعود الذكرى، ويا لها من ذكرى!

هي ذكرى شقيقي العزيز الراحل، الشاعر محمد أبو الفتح البشبيشي! مات الأخ الوفيّ! مات الشاعر! مات الأديب! مات الرسّام! تمهلْ أيها القلم ولا تجزع! كان أخي زهرة في روضة الحياة سرعان ما ذبلت، فانطوت صفحته البيضاء، واستوت بين طيات التراب، حيث فارقته روحُه الوثابة للعلا، ذاهبة إلى السماء، لتهدأ في جوار الرحمن، ولترتل أشعارها العذبة السلسة العميقة الغور والمعنى هناك!

مات شاعرُ الفناء والحزن! لا تعجب أيها القارىء، فلقد كنا نسمع دائماً من قيثارته، على شبابه ومرح نفسه، نغمة الفناء بادية ظاهرة، كأنما كان يرثي نفسه، ويحسّ بدنوّ ساعته! وهذه قصيدته «في ليلة» المنشورة في (أبولو) يدرك منها القارىء سموّ فكره، وآماله التي هدّها المرض، وطاف بها نذيرُ الموت، ويعرف منها عمق نظره في الحياة، وتبرّمه بأرزائها:

يرى ظلاماً شاملاً داجياً	يضمُّ مَن نام، ومَن لم ينمْ
يرى شباباً ضائعاً خافقاً	وفيضَ نورٍ قد خطا للعدمْ
يرى شهاباً لامعاً ثاقباً	وفي فضاء الكون قد يَنعدمْ!

وقد يميل بشعره فيعتب على الأرض وأهلها، ويصفهم بالغدر والجحود فيقول:

شكرانهم نكرانهم.. والذي	قد جعل الهمَّ بقدرِ الهِمَمْ
فذاك أمرُ الأرضِ مِن يومِها	وذاك أمرُ الكونِ منذ القدمْ
يَتيه ربُّ العلم في بؤسها	ويكتسي الجاهلُ ثوبَ النِّعَمْ

يرحم الله شقيقي ! لقد كانت له أفكارُ الجبابرة مع لطفه ودعته ، كانت له مواهبُ العظماء مع صغر جسمه ، كان يتمثل في خلقه الهدوء والسكينة ، وينبعث من عينيه الواسعتين تيارٌ عاصفٌ يسحق كلَّ معترض له ، ولكن ! قد سحقه الموت ! فانطفأت شعلة طمح الى المثُلِ العليا ، وسُحقت قدمٌ ثابتةٌ كانت تخطو إلى الرفعة في ثبات واتزان . لا اخال ذا قلبٍ رحيمٍ يقرأ لهذه الأبيات من قصيدة (حينما) في وصف الأرض عن لسان طيفٍ شال به في الفضاء إلا راثياً لشبابه ، ومستمطراً الرحمة على جسده :

هل تريد الأرضُ نوراً شاملاً ؟ حسبها الآن دخانٌ ولهبْ !
أتظنّ النورَ يبدو كاملاً فوق أرض مِن خداع وكذبْ ؟!
فوقَ أرضٍ لقنتْ فتيتها : «خُنْ أخاك اليوم فالميل اقتربْ !»
وأشاعت بينهم حكمتها : «لك عيش اليوم إن الغد خبّ !»

وهكذا الى آخرها يصف بقلمه العذب الارضَ وخداعَ من عليها . يصف فيها غدر الأخ لأخيه حباً في المال وجنوناً بالعظمة التى سوف تطوى يوماً من الأيام تحت التراب كما طُوِيَ جثمانه الطاهر الصغير الواسع الفكر .

إن للفقيد آيات رائعة في هذه الناحية من شعره أو مما وقع عليه اختيارُه وتجاوبت معه نفسهُ ، كقوله في ترجمة مرثية لشكسبير :

إنّا إلى الأرضِ جميعاً من غنىٍّ وفقيرْ
لا تخشينَّ الآنَ شمساً ملهبهْ
ولا شتاءً ريحُه مضطربَهْ
رسالةَ أديتها منتخبهْ
وعُدتَ تسعى للأصول المتربَهْ
إنا إلى الأرض جميعاً سوف تحوينا القبورْ !

وكانت له جولات في شعر الغزل لها حظ من رقته وظرفه ، مثل قوله :

بين وردِ الربيع في الروضِ أشجى بلبلٌ جائمٌ يحدّثُ بلبلْ
في وجيبٍ ، ورقةٍ ، والتياعٍ وغرامٍ ، والبدرُ بادٍ يُعلّلْ

فعبيرُ الورودِ فيه ، وفيه همساتُ الغرام كالخمر يُثمِلْ !

إلى أن قال :

فتلاقتْ بنا الشفاهُ قليلاً وحديثُ الشفاه جِدٌّ مُطَوَّلْ !

كذلك قال رحمه الله فى قصيدةٍ غزليةٍ :

غنِّنى فى الغرام أنتِ ، وغنِّى أنتِ فى الحب والهوى ترجمانى

ترجمى حالياً عن الوجد دوماً أنتِ فى الوجد والغرام لسانى

أنتِ نورُ الحياهْ

أنتِ رُوح النعيمْ !

ما ذا تقول فى شاعرٍ جمع بين سموّ الخلق ، وسلاسة الأسلوب ، وعذوبة العبارة وأصالة المعنى ؟

أجل ، ما ذا تقول ؟ وما ذا تؤمل لمثل هذا الشاعر الشاب لو كُتِبَ له طول البقاء ، يرسل أشعاره هنا وهناك فى هدوء وسلامة ذوق ؟ ولكن ضاع الأمل ، وانطوى بين صفحات القبور ، وترك عالمنا الصاخب إلى عالم الهدوء ، إلى الراحة الأبدية ، أجل ! ولَّت الأحلامُ ، وولَّت الليالى التى قضيناها معاً فى سرور ، وهنالك سوف يذكرنى الشاعر ، سوف يذكر أخاً وفيّاً طالما ابتغى البقاء بجواره ، قريراً بأخوّته ، قريراً بفنه .

لئن تكن الأيام فرَّقْنَ بيننا لقد بان محموداً .. أخى حين ودَّعا !

أخى ! إنه الموت نهاية الكون ، وآفة العمران : الموت حاصدٌ بارعٌ ، رائع الاختيار ، ينتقى من الشباب خياره ، ومن الأزهار جميلها ، يرفرف على الكون بأجنحته المخيفة ويرسل شعاعاً يخترق الكون باحثاً عن صاحب آمال ليحول بينه وبين غايته ، فانا لله ! لقد حقَّ للنفس أن تذهب حسرات ، ولكن ما ذا عسى يجدى الأسى ؟

أيتها النفسُ أجملى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا !

وهكذا حال الانسان : طفولةٌ وهى عهد المرح ولكنها قصيرة الأمد ، وشبابٌ سرعان ما يذبل ثم يهوى بين طيات القبور !

أجل ! ليس للفناء الأبديّ من دواء سوى الصبر الجميل ! رحماكَ أيها الشاعر الراحل النائي الى عالم الأبدية ! أبعث اليك سلامي مع هبات النسيم تحت جنح الليل علّها تخترق قبركَ الطاهر وتخبرك أن على الأرض أخاً لك مخلصاً فقد النور بعدك ! أخي ! إنني عجزتُ عن احتمال الصدمة ولا أقوى اليوم على بيان أدبك وتحليل شعرك ، فأرسلُ اليك من أعماق قلبي صوتاً محبّباً حزيناً . فهل تسمعه ؟ وهل تتقبله ؟

حسين الشبيبي



رثاء الشابي

أبا القاسم الشابي ! أبا القاسم الشابي ! ... مَكانُكَ فى الأخرى مَكانةُ أربابِ

أَبى الخالقُ الفنّانُ جلّتْ فنونُه ... لمثلكَ الاّ الخُلدَ فى دارِ أحبابِ

وما المبدعُ الفنّانُ إلا أشعّةٌ ... مِن اللهِ لم ترجعْ كرجعةِ غُيّابِ

سقتنا رحيقَ الفنِّ صِرفاً وودّعتْ ... فأين مُذابُ النورِ يملأُ أكوابي ؟

وأين الجمالُ العذبُ ألحانَ شاعرٍ ... خوالجُها للفنِّ أسبابُ أسبابِ ؟

وأين الذى يدرى خفايا نفوسِنا ... على البُعدِ وصّافَ الحياةِ بإسهابِ ؟

وأين الذى آياتُهُ فى تصوّفٍ ... فواتنُ أقطابٍ تفانَوْا وأقطابِ ؟

مضتْ ومضى ! يا هَوْلَ مأساةِ عالَمٍ ... عجائبُهُ (١) كادت تقوّضُ إعجابى

---

(١) عجائبه : غرائب شذوذه ونقائضه .

كأنَّ جمالَ الفجر لمَّا تركتَه [1] تشكَّلَ فى دُوحٍ كروحِكَ وثّابِ

فعلَّمنى نَوْحَ الخريفِ ووَجدَهُ وأسهبَ فى معنى من الشعرِ خلّابِ

وأشبعنى حُزناً عميقاً مجدَّداً بأصباغهِ الحسرى وإنْ تَلنَ ترحابى

وناولنى هذا الرثاءَ أشعَّةً حبيسةَ ألفاظٍ ، طليقةَ آرابِ

تبشّر بالحبِّ الأريج ، وحظّها جمالٌ من الأحلام والفكر والدّابِ

لها لَهْفَةٌ مثلى ، وكم عند لهفتى مِنَ الأدبِ المعبودِ غايةُ أنسابِ

فكلٌّ عن الباقين يَبكى بكاءهم وكلٌّ له دمعٌ دفينٌ بتسكابِ

تغلغلَ فيهِ الشَّجْوُ صِرْفاً كأنما يفيض بوحيٍ من غنائك منسابِ

أنوبُ عن الراثين مثلى ولم أُنِبْ كذلك مَنْ نابُوا فليسوا بنوّابِ

تنوَّعتْ الأحزان فيمن حياتُهُ وإنجابُه أنواعُ حزنٍ وإنجابِ

وما الفقدُ للفنِّ الجميلِ بهيّنٍ فمن عُمرِهِ عُمْرٌ لدنيا وأحقابِ

***

أتانى كتابُ الودِّ منكَ وطيَّه نَعِيُّكَ ! يا لَلرَّوع يَنسفُ أعصابى !

أيُفرحنى دهرى ويُحزننى معاً ؟! نعم ! هو جانٍ لا يُبالى بإغضابِ

لقد هدمَ الدَّولاتِ مِنْ قَبلُ هازئاً ولم يَخشَ مِنْ خصْمٍ وغضبةِ حسَّابِ

وقد عاندَ الآمالَ حتى تهشّمتْ فلم يبق للدنيا سوى الأملِ الكابى

وما (تونسُ) الخضراءُ بعدكَ جنّةٌ ولا نجمُكَ الخابى سوى نجمها الخابى

ولكنَّ للشعرِ العظيمِ على المدى مِنَ الثأرِ ما يَقضى على عسفِهِ الآبى !

***

صديقى ! صديقى ! أىُّ حزنٍ ينالنى وأىُّ شجونٍ تستهينُ بإرهابى ؟

كأنَّ أغانى الكونِ قد غالها الثرى فطاحت كما طاحت أناشيدُ ألبابِ !

---

(١) توفى الفقيد فى فجر اليوم التاسع من شهر أكتوبر الماضى .

ألستَ الذى ناجَى الطبيعةَ كلها / وترجمها سحراً مَرئِيّاً لآدابِ ؟

ألستَ الذى غنّى الأنوثةَ كلَّ ما / يُعبر عن أسمى الصلاةِ بمحرابِ ؟

ألستَ الذى قد عاشَ فى الناس ساخطاً / وفى الفنّ مسروراً وحيداً بأوصابِ ؟

ألستَ الذى قد ماتَ فى غربةِ الضَّنى / وبَشَّرَ بالعَوْدِ القريبِ لمرتابِ (١) ؟

وما حجَّبتهُ عن رُؤَى الحكمةِ الورى / إذا خذلَ الأحلامَ سَطوةُ حُجّابِ ؟

***

رحاتَ صديقى بعد ما جئتَ موصياً / بشعركَ ، فارحلْ غيرَ خاشٍ وهَيّابِ !

أنا حارسُ الفنّ الذى أنتَ ربُّهُ / وهيهات خذلانى مواهبَ وَهّابِ

ولكنَّ لى فيما نظمتَ مدامعاً / قصائدَ لم تُعلَنْ — وإن أعلنت — ما بى

تَلوحُ بأثناءِ السطورِ لشاعرٍ / فرُوحىَ مِنْ نفسى وأرواحِ أترابى !

أحمد زكى أبو شادى



ديوان عتيق

نظم عبد العزيز عتيق — الجزء الأول ، ١٦٠ صفحة بحجم ١٩ × ١٣ ½ سم . مطبعة العلوم بالقاهرة . الثمن خمسون مليماً .

أخرج الشاعر عبد العزيز عتيق ديوانه الأول منذ أربع سنين وهو على عتبة حياته العملية ، وهو ديوان ملىء بالقصائد الجميلة ذات الموسيقية المنغومة ، سجّل به عهداً من عهود حياته الأولى ومغامرات حبه العفيف ، وأثبت فيه خواطره

(١) كانت هذه اخر كلماته عند وفاته .



عبدالعزيز عتيق

الفتية ، وأفكاره الأولى المتأثرة بالأدب العربي الرصين ، وبشعراء العرب المبرّزين ، مع طائفة من أفكاره الأصيلة التي جاد بها وقته الضنين .

والمتصفح لهذه الباكورة الشعرية يلاحظ غلبةَ الشعر العاطفي على الديوان ، واحتفاله بعاطفتيْ الحب والصداقة بصفة خاصة ، ويشارف في أغلب الديوان روحاً قاتماً ونفساً ساخطة برمة بالحياة وأحداثها ، والصداقة ونزعاتها ، فيحسب مَن لا يعرف شخص الشاعر أن هذه الروح هي روحهُ الغالبةُ وأن مزاجه هو مزاجُ الديوان المتشائم ، في حين أن هذا الشاعر الشاب متفائل أزهر التفاؤل ينظر الى الدنيا نظرات وردية ، ويحنّ الى الجمال حنينَ الطفولة البريئة ، وكل ما سجّله في ديوانه انما هو تسجيل لحالات عارضة لنفسه ولمزاجه ، فاذا رأينا هذا الشاب يثور على المحبة أو على الصداقة ، فانما هي ثورة يرمي بها لغايات طاهرة نبيلة هي تطهير الحياة من رجسها ، وتجريد الأصدقاء من العواطف الدنيئة كالنفاق والرياء والغدر والختل ، ولا أدلّ على هذه الروح المثالية من قوله في قصيدة بارعة له جاء فيها :

فالذي شوّه الوجودَ بعيني وأثار القويَّ من صرخاتي

أن ترى الناسَ لا وفاء لديهم — وترى المختلَ بات رأسَ السمات
وترى الحقَّ زاوياً فى امتهان — وترى الجورَ مستطيل القناة

ومما يزيد القارىء اقتناعاً بروح هذا الشاعر المتفائل ما جاء فى قصيدته « أنا وقلبي » بآخر الديوان ، وهى تفصح فى أجلى بيان عن إشراق نفسه ، وعودته لطبيعته الأصيلة ، وهجرانه عبارات التبرم الجهمة ، وألفاظ اليأس وشكوى الزمان وتوديع هذا العهد إذ يقول :

سأعيش بعد اليوم لا — أشكو الشقاء أو الشجونا
سأعيش كاللحن الرقيق يثير فى الكون الحنينا
سأعيش كالحلم السعيد يزور دنيا الحالمينا
أمّا التبرمُ بالحياة — فان ذلك لن يكونا
عهدٌ أودّعه وانى — لا أزال به ضنينا

والمفهومُ من هذا القصيد أن الشاعر كانت تعتلج بنفسه فكرة عدم نشر شعره الأول ، الذى حوَى ذمَّ الحياة ، والضجر من الصداقة، ولم يحفزه الى نشره الا تسجيل عهد الصبا الذى يقتات على بعض ذكرياته ، ونحن نسجل اعجابنا بهذا الشعر على اعتبار انه عمل فنى يعبر عن حالات الشاعر العارضة لا باعتباره سجلاً لشخصيته ، ونذكر من نماذج هذا الشعر قصيدتيه « نفثة » و « مناجاة طائر » ففى الأولى تمنى الموت ودعاه لزيارته ، وفى الثانية حكم على الوجود حكماً غير حبيب للنفوس المتصوّفة . يقول فى نفثته :

أوّاه من نفسى ومن زمنى معاً — أواه لو تجدى إذن آهاتي
يا موتُ زر فلبئس داراً لم نجد — فيها سوى اللوعات والأنات
ولربَّ موتٍ يستريح به الفتى — من شرّ عيشٍ لجَّ فى الإعنات

وقوله يناجى الطائر، وهو يكشف بهذا القصيد عن أدجان خواطره وجهامة نفسه فى هذا الوقت كما يقول :

يا طائراً يتغنَّى فى خميلته — خفّض بربك! قد جددتَ أشجانى
أذخر دموعَك لا عطفٌ ولا أملٌ — بين الأنام سوى بغضٍ وعدوانِ

وقد ذم الصداقة فى جملة مواضع من ديوانه ودعا الى هجر الاصدقاء ، وهذا ما لا نوافقه عليه ، ولا يقبل من مثله أن يذم عاطفة عزيزة مثل هذا الذم ، وكيف

نذمّ الصداقة وهى ملاذنا اذا ضاقت فى وجوهنا الحياة ، وآدت نفوسنا الهموم ، كما أنها الكاشفة عن عذوبة الحياة والموحية بالفكر الجميل ، وأسمح لنفسى أن أقول أن هذا الخطأ العاطفى هو أثر من آثار الكتب المدرسية العتيقة الفياضة بهذه النازعة ، ومن أمثلة ما جاء فى ديوانه فى ذمّ الصداقة قوله :

لا تَكلنى الى الصداقة أنى ... فى هواها فما ترقّ لما بى
هى فى عالم الحياة فتاةٌ ... صاغها الله شُعلةً من عذابِ

وقوله :

إيه يا قلبُ عش كما كنت فرداً ... نعمةُ العيش فرقةُ الأحبابِ
نشترى الودّ بالرقيق من النبـ ... ـل فنجزى عليه مرّ العتابِ

والذى يبدو لى أن شاعرنا يصبو الى صداقة سامية مثالية كلها نبل وكلها طهر وكلها قداسة ، وهذا لن يكون ، ولا يمكن تصوّره فى عالمنا الدنيوى ، ومن أدلة ذلك قوله :

ان وداً يُبنى على غير نُبلٍ ... لهو ودٌّ مَصيرهُ للضياعِ

وقوله :

قد سئمتُ المقامَ بين وجوهٍ ... كوجوه القرودِ والحرباء
فاصدقونا الوداد عفّاً شريفاً ... أو دعونا من الطلا والرياء

* * *

وشاعرنا الشاب لا يتجاوز السابعة والعشرين من العمر ، ولكنه ناضج الرأى ذكىّ الفؤاد كأنما هدف الى الأربعين ، وهو شاعر وجدانى مطبوع يبحث عن الجمال والحب أينما وجدهما ، يبحث عنهما لذاتهما ولارواء شاعريته ، حتى لنكاد نلمس تلهفه الوجدانى ، وتوثبه الطفولى ، وظمأه الدائم للحب وللجمال ، وتحمسه لحبٍّ جديدٍ اذا خاب الحب القديم ، وها نحن نكاد نسمع نبضات قلبه فى قصيدته الوجدانية البديعة « الريفية الطائشة » والتى يقول فيها :

تعالى أرينى ذلك الوجهَ علنى ... أرى فيه آمالى إذ العيش أنكدُ
ألا وامنحى مِن ثغرك العذب قبلةً ... لعلّ بها نار التشوق تبردُ
وهيا اغمرينى بالحنانِ فاننى ... سئمتُ تحرّيه وما زلت أنشدُ
ولا تسألى عمن يذم ومَنْ يشى ... اذا نحن أرضينا الضميرَ وندّدُوا

بهذه الفرحة يلاقى شاعرنا الشاب حبيبته . فاذا لم تفهم حبه العفيف وضربت الأيام بينه وبينها وتحوّلت عنه ، أخذ قلمه وأرسل صرخات الألم ، ونفثات صدره الكليم ، واذا به يسمعنا صدى هذه الفورة النفسية فى قصيدته « خيبة » والتى جاء فيها قوله :

جَنّبانى حديثها جنّبانى ... وارفقا بى فقد فقدتُ الأمانى

ها هو اليوم قد تبدّى سراباً ... أملٌ كان ثابتَ الأركانِ

ويقول أيضاً فى هذا الحب الخائب :

عظمت خيبتى وصرّح يأسى ... ودهانى من خيبتى ما دهانى

إنّ دائى الذى أصاب فؤادى ... ناشبٌ فى الفؤاد كالسرطانِ

وتأكد للشاعر خيانة هذه الحبيبة ، بعد تشكك ، فأرسل قصيدته القوية الموسومة « بالرياء فى الحب » ينعى فيها الحبّ الشهوانى الدنىء ، ويندم على ذكريات هذا الحب الضائعة فيقول :

أجزاء الذى اصطفاكِ وأفنى ... فيكِ لو تدرى عمرَهُ وشبابهْ

ورأى مِن صفاء حسنكِ روضاً ... يبهر الشعرَ ظله فاستطابهْ

أن تجازيه بالخيانةِ غدراً ... ثم تُهدى إلى الذئابِ ثيابهْ

ليتَ لى مثلهم فؤاداً غليظاً ... يعشق الفتكَ والدماءَ المذابهْ

وبعد هذه الصدمة العاطفية لا نجده مثل كثير من المحبين ، يسترسل فى التوجع ويخلد الى اليأس ، ولكنه بما طبع عليه من مزاج دموى متفائل مرح ، ينسى هذا الحب ، ويوسده فى قبره كما يقول ، ويتلفت إلى حب جديد يلمع فى صدره ويوحى إلى فنه ، فاسمع اليه يقول لحبيبة ثانية :

فكالأملِ المحبوبِ ثغركِ حينما ... تقرّبنى منه الشفاهُ الهوامسُ

وصفوة القول إن شاعرنا الشاب شاعر متفائل طلق الوجه ، يطير فى الدنيا كالعصفور الرقيق المتوفز يحط من فنن إلى فنن ، ويغنى على كل نبت بنغم متنوع ، وشعر ناصع ، وذهن صاف — ولم يقتصر شعره على الناحية الوجدانية والعاطفية ، ولكنه عالج كثيراً من المناحى الشعرية الأخرى ، وبخاصة شعر الطبيعة والشعر

الاجتماعى والشعر الفلسفى ، وله فى هذا الديوان قصائد عدّة رصينة السبك ، ومن نماذج شعره فى الطبيعة قصيدته اللطيفة عن « زهرة الفلّ » التى جاء فيها :

زهرةٌ كالأملِ الحلوِ وأحلى تسكر النفس وتودى بالشجنْ

هاتها ألهو بها أو أتسلّى عن هوى أهفو اليه وأحنّ

ثم قال فى نبض قوى :

زهرةٌ تبسم عن ثغر رقيقْ سكن الحسنُ بطيات لماها

هاتِها يا صاحِ ! إني لا أطيقْ أن أراها ثم لا ألثم فاها !

كما تغنى أيضاً بأحداث الطبيعة فى قطعتيه « الشجرة الذابلة » و « حديقتنا » ، وناجى اليمامة فى شعر حديث ، وتحدث أيضاً عن مظاهر الريف — وبهذا يسجل ديوانه الأول اتساع أفقه الشعرى واستعداده الفطرى المطبوع ، ولا شك فى أن آيات ذلك تجلت فى قصائده الجديدة التى نشرها « بالأهرام » و « أبولو » و « بالرسالة » من مثل قصائده « ليلة الزورق » و « وداع الشاطىء » و « الملاك النائم » — وقصائده الأخرى التى لم تنشر والتى سيزين بها صدر « الامام » والمجلات الأخرى مثل قصيدة « الشمس الجديدة » و « صخرة الملتقى » و « البحر » وغيرها من القصائد ، وكلها لاقت اعجاب أصدقائه وعارفيه وقارئيه .

ولعلى بعد هذا البيان الموجز أكون قد نبهت تنبيهاً بدائياً الى نفسية هذا الشاعر الشاب فى باكورته ، وإن كنت لم أتناول شاعريته الا عرضاً للتدليل على مزاجه وروحه المتفائل ، وانى أحب أن يتناول الشباب الحديث بالدرس هذه الشاعرية المطبوعة فى ديوانه المنشور وفى قصائده التى ينشرها على الناس فى فترات الفراغ ؟

مصطفى عبد اللطيف السحرتى

نشرة الاتحاد الدولى

للرسم والتربية الفنية والفنون العملية

العدد الأول من السنة الثانية — تصدر ثلاث مرات فى السنة — الاشتراك السنوى ١٥٠ مليماً — الادارة بشارع السكوة رقم ١٣ بالظاهر بالقاهرة

بين الفنون المختلفة وشائج عميقة لا شك فيها ، وهذا ما يدعونى الى التنويه

بهذه النشرة التى أعتقد أنها بين ما يستأهل مطالعة الشعراء وعنايتهم . وفى هذا العدد الذى بين يدىّ (وهو واقع فى ٣٢ صفحة من حجم «أبولو» ومطبوعٌ طبعاً فخماً بمطبعة الاعتماد بالقاهرة) موضوعات فنية شتى كلها جمال وطرافة مثل باب بدائع الفن من تصوير ونحت ، وتربية عادة الابتداع فى الرسم ، وخيال الأطفال ، ونحو ذلك .

وقسم « بدائع الفن » فى هذه النشرة مما يهمّ الشعراء بصفة خاصة وخصوصاً مَنْ يحفلون بشعر التصوير . خُذْ مثلاً صورة « اللاقطات » Les Glaneuses من عمل الفنّان الفرنسى ميليه فى القرن التاسع عشر ، فالمحرر يشرح هذه الصورة البديعة بقوله : (تريك هذه الصورة ثلاث نساء يجمعن ما تخلف بعد الحصيد من سنابل القمح ليقتتن به . وانك لترى على سيماهنّ مخايل الصبر واحتمال المشاقّ فى سبيل العيش وسدّ العوز ، تلك الفضيلة التى لن تراها بأجلى مظاهرها فى غير طبقة الزراع . نشأ ميليه زارعاً ملماً بأعمال الزراع دارساً لطبائعهم ، عالماً بنفسيتهم وشعورهم عارفاً لآلامهم وأحزانهم . يرى الجمال فى تمثيل الطبيعة الوادعة غير المتكلفة ، تستهويه موضوعاتها الحزينة فينقلها عن فهمٍ وخبرةٍ ، فقد كتب مرةً الى صديق له يقول : « اننى لا تستهوينى نواحى الحياة السارة ولا مشاهدها المفرحة فانى لا أعرفها ولم يسبق لى أن عرفتها فى حياتى » ، وربما كان له العذرُ فى ذلك فانه ظلّ طول حياته معدماً ، وقد كان فى بعض الأيام لا يجد ما يتبلغ به . ومن الغريب أن صُوَرَهُ التى كان يبيعها بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة تُقدَّر الآن بمئات الآلاف من الفرنكات . وقد أُهديتْ هذه الصورة الى متحف اللوفر بباريس سنة ١٨٨١ م . وهى به الى الآن) .

وقد استوحى هذه الصورة من قبل الدكتور أبو شادى (راجع قصيدة « جامعات الجُزاز » فى ديوان « أشعة وظلال » ص ٣٣) وفيها يقول عن أولئك اللاقطات :

يجمعْنهُ فى زَهْوِهِنَّ كأنّه أَوْلَى بأنْ يُختصَّ بالتكليلِ
وَحَنَيْنَ راضيةَ الظهور بلا وَنًى فى حينِ لا يُحْنَى لغير جليلِ
وحَرَصْنَ طىَّ مُلاءةٍ فى حفظهِ حِرْصَ المُضيفِ على حياةِ نزيلِ
وتَعُدُّهُ سيقانَ نبتٍ ميّتٍ وَعَدَدْنَهُ أثراً لرُوحٍ نبيلِ !

ولا يسعني الا تهنئة مكتب القاهرة للاتحاد الدولي للرسم والتربية الفنية والفنون العملية على مواظبته على إخراج هذه النشرة النفيسة ، ولعلّ ازدياد الاقبال عليها فى المستقبل مما يساعد على الاكثار من إصدارها ليزداد الانتفاعُ بها ؟

محمد عبد الغفور

فحول الشعراء

يجمع دواوين : الفرزدق ، النابغة الذبياني ، جميل بثينة ، ذو الرمة ، أمية
ابن أبي الصلت فى ٥٢٠ صفحة بحجم ٢٢ × ١٥ سم . عُنيت
بنشره المكتبة الأهلية فى بيروت . الثمن ١٥٠ مليماً

لقد أحسنت ادارة المكتبة الأهلية فى بيروت الى الأدب العربي إحساناً جيلاً خالداً بجمعها درره اللامعة وطبعها ونشرها بين الأدباء ، وهذا الكتاب الجامع لشعراء خلدت آثارهم هو أحد تلك المآثر التي قدمتها هذه المكتبة ، وقد عهدت بتنسيق كل ديوان منها ومراجعته وشرح ألفاظه الى أدباء نابهين .

غير أني وجدت أن ديوان الفرزدق لم يضم بعض قصائده كقصيدتيه فى هجو جرير التي يقول فى مطلع احداها :

ألا استهزأت مني سويدة أن رأت   أسيراً يداني خَطْوَهُ حلقُ الحِجلِ

وفى مطلع الأخرى :

إن الذي سمك السماء بنى لنا   بيتاً دعائمه أعزّ وأطولُ

كما ورد بيته المشهور :

والشيبُ ينهض فى السواد كأنّه   ليلٌ يصيح بجانبيه نهارُ

مفرداً فى الديوان بدون البيت الذي يسبقه وهو :

قالت : وكيف يميل مثلك للصِّبا   وعليك من سِمَةِ الحليمِ وقارُ

ولم يذكر فى الديوان الاكتفاء بقصائد دون قصائد كما ذكر ذلك فى مقدمة

ديوان ذى الرمة حيث قال جامعه إنه اقتصر فيه على ما هو أكثر نفعاً وأرقّ أسلوباً وألفاظاً ، على أنى أرى أن من الفائدة جمع هـذه الاشعار برمتها لتـكون أثراً جامعاً للشاعر .

وما لحظتُـه فى ديوان الفرزدق من ترك قصائد لحظتُـه فى ديوان أمية فقـد تركت قصيدته التى يقول فيها :

يا نفسُ ما لكِ بعد الله من واقِ وما على حدثانِ الدهرِ من راقِ

ووجدتُ فى ديوان النابغة ولاحظتُ تقديماً وتأخيراً فى أبيـات بعض القصائد وحذف أبيات من البعض الآخر .

وأرى أنه كان من الواجب أن تنشر الروايات المختلفـة التى وردت فى بعض الأبيات فان فى ذلك فائدة عظيمة .

ولعلّ ناشرى هذه الدواوين يتّـبعون ذلك فى الدواوين الأخرى التى يقومون باخراجها أو فى الطبعات الجـديدة للدواوين التى قاموا بنشرها ليـكون كلُّ ديوان شاملاً لشعر الشاعر فى مختلف مرائيه .

هبة الأيام

فيما يتعلق بأبى تمّـام

تأليف الشيخ يوسف البديعى من علماء القرن الحادى عشر — ٣١١ صفحة

بحجم ½ ٢٣ × ½ ١٥ سم . طبع بمطبعة العلوم بالقاهرة الثمن ١٥٠ مليماً

قام الأستاذ الفاضل محمود مصطفى أستاذ الأدب بـكلية اللغة العربيـة احدى كليات الجامعة الأزهرية بنشر هذا الـكتاب النفيس الذى ألـّـفه قاضى الموصل يوسف البديعى المتوفى سنة ١٠١٣ مؤلف كتاب « الصبح المنبي عن حيثية المتنبي » الذى يعتبر من أنفس ما كُـتب عن هذا الشاعر . وقد قام الأستاذ الفاضل بتعليق الحواشى على كتاب « هبة الأيام » مع الشرح والنقد وتحليل ما ورد به من شخصيـات والافاضة فيما أُشير اليـه من تاريخ وأدب ، وقام بضبط الشعر المرويّ

والمفاضلة بين رواياته . وقد حدا به الى إخراج هذا الأثر النفيس من محفوظات دار الكتب المصرية أنه رأى أن طريقة المؤلف فى كتابه هـذا وفى كتابه عن المتنبي « هى الطريقة المثلى فى دراسة الأدب القديم التى يتفق فيها القـارىء بين أفنان القول ويستجلى من أنوار الأدب ما اختلفت ألوانه ويتشمّم من عبيره ما تنافست فى الطيب نفحاته ، فهو ينتقل بالقارىء من خبر مستطرف الى معـنى مستظرف » فالمؤلف قد بنى كلامه فى هذا الكتاب « على شرح لحياة الشاعر الخالد أبى تمّام ، فعرض على القارىء برداً يمانياً كثير الطرائق مطرز الحواشى » .

ولننقل للقارىء صورتين من هذا الكتاب احداهما للمؤلف والأخرى للناشر يناقش الثانى فيها الأول فى فهم معنى « غيور » فى قول أبى تمام :

لئن أرقأ الدمع الغيور وقد جرى　　لقد رويت منه خدودٌ نواعمُ

فالمؤلف يقول : « ولما ولى ابن أبى دؤاد المظالم قال أبو تمام يمدحه ويتظلم اليه :

ألم يأنِ أن تُروَى الظماء الحوائمُ　　وأن ينظم الشملَ المبدَّدَ ناظمُ ؟

لئن أرقأ الدمعَ الغيورُ وقد جرى　　لقد رويتْ منـه خدودٌ نواعمُ

كما كاد ينسى عهد ظمياء باللوى　　ولـكن أملّته عليـه الحمائمُ

يقول لئن أرقأ دموع أحبتنا مخافة الرقيب الغيور لقد رويت خدود الأحبة من الدمع . وظمياء اسم جارية . يقول نسيت هذه الجوارى عهدنا كما كدت أنسى عهد هـذه الجارية حين سمعت الحمـائم تترنم فذكرنى الهوى وأملت علىّ ما كنت نسيته فحفظته » .

ويقول النـاشر فى مناقشـة المؤلف : « فهم المؤلف « الغيور » بمعنى الرقيب فاضطرب عليه المعنى لأنه جعل الباكى فى الحالين من الحبائب ثم جعل فاعل ينسى فى البيت الذى بعده للمحب ولم يتقـدم له ذكر ، ولـكننا نفسر تفسيراً آخر يتفق ومنهج الشعراء فى كلامهم ويساوق لفظ الأبيات من غير حاجةٍ الى تأوّلٍ أو تعسف فنقول الغيور هنا المحب ولا تـكون الغيرة الا نتيجة لشدة الحب وتناهى الـكلف ، وأرقأ الدمع رد غربه ، وأمل الـكتاب أملاه . والمعنى إن ارعوى المحب عن البـكاء فان المحبوبة بكت طويلا حتى ارتوت خدودها الناعمة فـكان ذلك أدعى لشدة تعلقه بها كما كاد ينسى عهد تلك المحبوبة المسماة ظمياء ، ولـكن بكاء الحمام ذكره بالحب وأملى عليه ما كان نسيه وحاول التخلص منه » .

هذا النموذج من الكتاب يدلّ على دقته تأليفاً وتعليقاً ، مما يهيء له مكانته في نفوس القراء ومما يشجع على ابراز محاسن الأدب العربي مجلوة في مثل هذا الثوب القشيب من الدقة في البحث والاستقصاء ؟

حسن كامل الصيرفي

الحديقة

مجموعة أدبٍ بارعٍ وحكمةٍ بليغةٍ وتهذيبٍ قوميٍّ ، جمعها ووقف على طبعها محب الدين الخطيب ، الجزء الثاني عشر ، ٢٨٨ صفحة بحجم ١٦ × ١٥½ سم . طبعت بالمطبعة السلفية بشارع الابودية (درب الجماميز) بالقاهرة . الثمن خمسون مليماً

صدر حديثاً الجزء الثاني عشر من هذه المجموعة الأدبية التي تؤلف « مكتبة الجيب » وهي جامعة للكثير من طرائف الأدب والحكمة نثراً ونظماً من أقلام المشهورين وغير المشهورين ؛ فهي مكتبة مدرسية تهذيبية من الطراز الأول . وجامعها الفاضل من أشهر أدباء العربية ومن أعلام المسلمين المصلحين ومن أخلص أنصار العروبة . ومَنْ منا ينسى جهوده في مجلة (الزهراء) الأدبية وفي مجلة (الفتح) الاسلامية وسعيه لتأسيس حركة (جمعية الشبان المسلمين) ؟ ولا عجب بعد هذا إذا أجرى إهداءه لهذا الجزء من الحديقة بالسطور الآتية :

« مِن أهم ما يحتاجُ اليه الناطقون بالضاد في حياتهم الأدبية والقومية أن يكون لمفاخرهم ديوانٌ شعريٌّ عظيم يتغنى بأمجادهم ويترجم عن مواطن العظمة في يوميْ سعدهم وبؤسهم وفي موقف نصرهم وانكسارهم وفي صفحات استعمارهم بلاد الناس واستعمار الناس بلادهم . إن العظمة التي واجهها هوميروس لما نظم الالياذة ، أو التي واجهها الفردوسيُّ عند ما نظم الشاهنامة ، لا تُعدُّ شيئاً مذكوراً في جانب العظمة التي يواجهها الشاعر العربي البليغ اذا أراد أن يدوّن صفحات العظمة والمجد في تاريخ العرب والاسلام . ولقد كنت حريصاً على أن يكون هذا العملُ المجيدُ من نصيب أمير الشعراء شوقي ، وسعينا لذلك أكثر من مرة ، ولكننا أردنا وأراد الله غير الذي

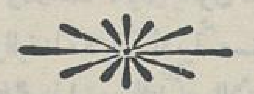
أردنا ، لأنه ادّخر هذه المأثرة الكبرى لشاعر آخر لا يزال اسمه محجوباً عنا وراء سُجف الغيب . فالى الشاعر الذى اختاره الله لكتابة إلياذة العرب أهدى هذا الجزء من حديقتى » .

والكتابُ جامعٌ حقيقةً لأزهار ورياحين كثيرة متنوّعة الألوان والعبير ، ونصيبُ الشعر منها غيرُ يسيرٍ . وأقول فى اخلاصٍ إنّ « مكتبة الجيب » هى مكتبةُ المدرسة أيضاً ، وانها قمينةٌ بالذّيوع بين طلبة المدارس الثانوية وطالباتها فى العالم العربى ، فما أعرف أفضلَ منها مجموعةً للتدريب على الانشاء المهذّب وعلى بثّ روح الفضيلة العربية ومآثر التاريخ الاسلامى . ولعلّ من خير ما تضمنته من الشعر هذه المقطوعة بعنوان « شاعر متعفّف » وهى من نظم شاعر مصر الشهير أحمد محرّم . قال لا فُضَّ فوه :

أيريبُ عينَكَ أن ترانى كالذى	سقطَ الجرادُ فغالَ ناضرَ غرسِهِ ؟
أو كالذى صحبَ السنينَ ، فبعضُهُ	عانى الحياةِ ، وبعضُهُ فى رَمْسِهِ ؟
ما ذا تظنّ بشاعرٍ متعفّفٍ	لا يَشْمئزُّ بأمةٍ من جنسِهِ ؟
المرءُ يُسألُ عن عوارفِ علمِهِ	وأراهُ يُسْألُ هاهُنا عن فَلسِهِ
أرِنى أديباً صافحتْ يدَهُ الغِنَى	أوْ فاضلاً صَدَقتْ أمانى نفسِهِ
إصبرْ إذا دارَ الزّمانُ بسىّءٍ	فعساه يوماً أن يدورَ بعكسِهِ
لو أنَّ دهرَكَ دامَ طالعُ سَعْدِهِ	فى العالمين لدامَ رائعُ نحسِهِ

وقد اعتادت المطبعةُ السلفيّةُ ومكتبتُها أن تُصدر سنوياً جزءاً أو جزءين من « مكتبة الجيب » هذه ، وما من شكٍّ فى أنها أهلٌ للتشجيع الكبير من المعاهد الدراسية خاصةً ومن الأدباء عامةً ؟

زينب الرّوبى



نقد وتعليقات

فى الشعر الجديد

زعمَ أحدُ شعراء الشباب فى جريدة (الوادى) أنّ أقصوصتنا الشعرية الاجتماعية (عبده بك) هى أقصوصة غثة عديمةُ القيمةِ. فأما عن قيمتها التهذيبية فى دائرتها الاجتماعية فغيرُ خافيةٍ على أىّ منصفٍ، وقد أشار الى ذلك غيرُ واحدٍ من النقّاد المستقلين وأما قيمتها الفنيةُ ففى ترويض الشعر العصرى على الذوق المصرى الصرف فى أسلوب كلامى عرفه النثرُ الحديثُ وما زال يُحرَمُهُ النظمُ بسبب تهيُّب الشعراء، كأنما حتم عليهم أن يكونوا مقلدين للأساليب القديمة وللروح الكلاسيكية، وكأنما محرّمٌ عليهم أن يأتوا بشيء من القصص الشعبىّ كما فعلنا فى هذا النموذج، فان فعلوا تعرّضوا لأمثال هذه النعوت المنتقصة التى تُكال لنا!

ومتى يؤمن الشعراء بأنّ الفن يجب أن يكون خالصاً للدواعى الفنية واعتبارها، لا راضخاً لدكتاتورية النقاد ولا لأهواء الجمهور؟ ومتى يقدّر النقّاد أن عناية الشاعر بالأدب الشعبى مرةً أو مرات ليس معناها عجزه عن الشعر الانسانى العالى أو عدم حفاوته به، فان نفسية الفنان تتطلب التنويع، كما أن الفنان ينظر الى جميع آثاره كوحدةٍ كبرى.

وزعم حفظه الله أننا من الداعين الى عبادة الأصنام وأننا بين هذه الأصنام، ولسانُ الانصاف يقول إنه لا يوجد أديبٌ حاربَ هذه العادةَ المرذولةَ فى مصر كما حاربناها، وأننا نؤثر دائماً أن نكون عاملين كالجندىّ المجهول فى الجيش الزاحف حتى ولو حملنا له العلَمَ.

ثم حار جنابُه فى كثرةِ تآليفنا وإنتاجنا وأن يخلقَ كلٌّ هذا مدرسةً جديدةً تُعنى بأدبنا وأدب زملائنا ودراسته، وأن يكون لنا نصيبٌ وافرٌ من النقد الفنى المستقلّ، وأن تنشأ من تواليفنا مكتبةٌ أدبيةٌ مستقلةٌ كما قال الكاتب الناقد أحمد الصاوى محمد — حار من كلّ هذا ومن التآزر الأدبى والفكرى بيننا وبين مريدينا وتحمسهم لأدبنا، فراح يطعن فى ذوقهم وذوقنا وراح يدّعى أننا من أهل الرأسمالية

الذين يشترون الأمداح ، الى آخر هذا الهذر ! ولو كان عقلهُ فى رأسه لفهم ظروفنا المالية القاسية ولأدرك أننا من أبعد الناس عن الرأسمالية وأننا لم نعرفها فى حياتنا بل اننا عشنا دائماً عيشة الاستقلال والكفاح فى شبهِ عصامية . وبديهىّ أن كلّ هذا التهجّم علينا ليس من النقد الفنى فى شىء ، فاذا ما استحال الى شىء من ذلك القبيل رأينا صاحبنا ينتقد بيتاً فى قصيدة « الربّات الراقصات » (أبولو ، م ٢ ، ص ٤٩٦) وهى من شعر التصوير الذى لن يفهمه مثلُ صاحبنا الناقد ولو تأمّل سنين فى الصورة الفنية المصاحبة للقصيدة . وأمّا البيت الذى ينقده فهو من صميم الصورة فنقده نقد لذوق الفنان المصوّر وللقصة الميثولوجية ذاتها ، وقد عالجناها فى شعر موسيقى لاغبار عليه ، فقلنا فى أول قصيدتنا :

رقصنَ ، ورقصةُ الربّاتِ معنى ... من الالهامِ يجهله التمنى
تثنّين انسياباً واجتذاباً ... فأنطقن التجاوبَ والتثنّى
وغنّين الحياةَ جديدَ لحنٍ ... فصيّرنَ الحياةَ جديدَ لحنِ
وقد ركعَ الالٓه (خنومُ) عبداً ... يُطبّل والجمالُ له يغنى
تراه شبيهَ مذهولٍ قريرٍ ... على ظنٍّ يداعبهُ وظنّ

والشاهد النقدى فى البيت الرابع ، أمّا النقد الذى يريده فلم يستطع أن يلفظ به والصورة الفنية المصاحبةُ للقصيدة تردُّ كلّ نقدٍ من هذا القبيل عن هذا الشعر الدقيق الصادق . وألفاظه هى ما يتطلّبها الموقف تماماً وليس فيها ما يُعاب الاّ فى عُرف أهل النعومة المتحذلقين ولو أفسدوا الفنّ افساداً بالمداورة والتصنّع اللفظى .

***

نقـد الشفق البا كى

ثم يتّجه النقدُ إلى ديوان (الشفق البا كى) ولكنه نقـدٌ غير رفيع ولا فن فيه ، ومع ذلك فلنمتحنه فلعلنا نستفيد منه بعض الفائدة ، ولعلنا نفيد بالتعليق عليه .

يرى الناقدُ الفاضلُ أن قصيدة « النهضة إرادة » — اولى قصائد الديوان — خربة أو أن مطلعها خراب ، ويُسْرف فى انتحال الأسباب والتفاسير ! ونرى من

م — ١٤

الواجب نشر القصيدة المنتقدة ثم نعاق على هذا النقد ليعرف القراء ذوقَ الناقد الذى يقال إنه يعبر عن رأى فريق من الأدباء السكندريين . واليك نصّ القصيدة :

وطنى ! الحسنُكَ ما نظمتُ جواهرا ... وبفضلِ وحيكَ أن أُعدَّ الشاعرا

أسقيتُ فيكَ هواى منذ طفولتى ... وخلقتَ وجدانى هُدًى وما آثرا

وشقيتُ من حُبى فكنتَ مُعللى ... ونقمتُ من جيلى فكنتَ الغافرا

فعلىَّ حقٌّ أن أفيكَ مبرَّةً ... وأنا الشكورُ وإن لحتُكَ شاكرا

عهدى : بيانى لن يُسخَّرَ ضلةً ... للعابثين ولن تكون الخاسرا

أبداً يرفُّ بحكمةٍ وبرحمةٍ ... تهدى الأنامَ ولا تخيّبُ عاثرا

وأظلُّ أدأبُ فى سبيلك ناشراً ... موْتى الارادةِ مُسْعِفاً ومحرّرا

والناقدون بلفظهم وبنحوهم ... يلهون لا يدرون حِسّاً قادرا

والشاعرون ينمّقون بيوتهم ... عبثاً ، فلا يُحيون بيتاً عامرا

جهلوا الحياةَ بأصلها وبحالها ... فتسابقوا وهماً يُميت الخاطرا

ولو انهم درسوا الحياةَ حقيقةً ... وصفوا الحياةَ نتيجةً وعناصرا

***

وطنى ! صفحتُ عن الهنات كثيرةً ... أمّا الارادة فهى تخلقُ كابرا

والشعبُ إن تخذَ الارادةَ عمدةً ... قتلَ الزّمانَ إذا تهجّمَ صابرا

الجهلُ أوْلى أن يكون شعارَنا ... من أن يُضيعَ العلمُ حزماً وافرا !

فاذا التمستَ من الارادةِ قوةً ... فلقد كُفيتَ مدافعاً وذخائرا

وبنيتَ بالصبرِ الحصينِ معاقلاً ... ورفعتَ من أسِّ الثباتِ منابرا

اوسخرتَ حولك بالصعاب تدوسها ... حتى تهون فلا تردّك صاغر

ليس الحماسةُ غير مبدأ نهضةٍ ... أمّا الارادةُ فهى زادُك آخرا

هذه هى القصيدة التى تحاشى الناقدُ أن ينشرها كاملة — برغم إيجازها — حتى لا يشعر القراء بوحدتها الفنيةوبارتباط أبياتها ومعانيها وبروحها الوجدانية الوطنية

الشاملة ، ثم أخذ بعد ذلك يتلاعب بمرامى ألفاظها ذلك التلاعب الذى لا يصعب على أيّ متنطّعٍ أن يشوّه به جمال أى شعر، ولكنه تشويه لا ينطلى إلا على السطحيين .

فهل صحيحٌ مثلاً أن الشاعر الذى يعترف بفضل جمال وطنه ووحيه على شاعريته لا وطنية عنده وانما يُعنى بجمال الوطن فقط ؟ أرأيت مغالطة أبعد من هذه ؟ أليس البيت الثانى متمماً ومفسراً للبيت الأول ؟ وهل صحيح أن كلمة « الشاعر » تعنى أنه لا شاعر غير صاحب الديوان فى مصر ؟! وهل يوجد أديبٌ متذوّقٌ للشعر العصرى يحتم قصر كلمة « الوحى » على الالهام الربانى ؟! وهل استعمال كلمة « أُعَدّ » فى مطلع القصيدةِ معيبٌ حينما الشاعرُ يريد أن ينسب مواهبه الشعرية الى جمال وطنه ومحبته الموحية اليه ؟ أهذه وداعة أم غرور كما يقول حضرة الناقد ؟ وهل الناقد الذى يجهل أو يتجاهل سيرة الشاعر منذ صباه يجوز له أن يسخر من مثل هذا البيت :

وشقيتُ من حبي فكنتَ معللى ونقمتُ من جيلى فكنتَ الغافرا

مع أنه لو ألمّ بترجمة حياته لما وجد أىّ مجال للحيرة ؟ فهل له أن يفهم الآن قيمة الدراسات النقدية والشروح للشعر من مُريدى الشاعر ؟

ويعجب ناقدنا العزيز من عدم ظهور الفتحة بعد « أن » على الفعل فى قولنا :

فعلىَّ حقٌّ أن أفيكَ مبرَّةً وأنا الشكورُ وإن لحتُكَ شاكراً

مع أن شواهد ذلك كثيرةٌ فى الشعر ، لأنّ (أن) هنا مهملة حملاً على المصدرية ومن أشهر الشواهد على ذلك قول ابن الدمينة [1]

ولى كبدٌ مقروحةٌ مَنْ يبيعنى بها كبداً ليستْ بذاتِ قروحِ
أبى الناسُ - ويحَ الناس - أن يشترونها ومَنْ يشترى ذا علةٍ بصحيح ؟ !

وهل يأثم مَنْ يشكر لوطنه برّه به ، وإن وجدَ هذا الوطن شاكراً له وفاءه ؟ ! وهل مَنْ يعبر هذا التعبير يستحق أن يوصف فى الصفحة الأدبية لجريدة محترمة (كالوادى) بأنّ من طبعه « عدم العرفان بالجميل واللؤم ... » (كذا) ؟! وأين الخطأ اللغوىّ فى استعمال كلمة « لحَ » يا هذا وهى تُشعر بأنّ مجرد النظرة الخفيفة كافية لتبين شكران الوطن لوفاء الشاعر ؟ أرأيتَ مبلغ عجزك فى البيان بالرغم من أساليبك العتيقة فى النقد ؟

---

(١) أنظر كتاب (الضرائر) للألوسىّ ص ٢٧٤

لو تلففتَ فى كساء الكسائى وتفرّيتَ فروةَ الفرّاء
لأبى اللهُ أن يعدَّك أهلُ الـ ـعلم الاَّ من جملةِ الاغبياء !

ثم ماذا ؟ ثم تشاء بطولةُ الناقد أن يزجّ بنا فى ميدان السياسة مدّعياً أننا كنا بمدح سياسة اسماعيل صدقى باشا ، وهذا من التزوير بمكان : فليست لنا بدولة صدقى باشا غير علاقة مودة عائلية قديمة كما أن لنا نفس هذه العلاقة بدولة النحاس باشا وبدولة زيور باشا وبالمغفور له سعد زغلول باشا . وليرجع القراء الى ما كتبناه فى هذا الشأن بعدد اكتوبر سنة ١٩٣٤ فى مجال الكلام عن « الشعر والسياسة » (ص٢٧٦) وما نشرته مجلة (الامام) فى عددها المؤرخ ١٥ أكتوبر الفائت ، ولعلّ فى ذلك الكفاية لصفع هذا المتخرّص وأمثاله من المتاجرين بالوطنية على حسابنا . ولا ندرى لماذا لا يحاسب هذا المضلّلُ دولةَ النحاس باشا مثلاً على امتداحه لدولة محمد محمود باشا بعد ما صدر من الأخير ضدّه وضدّ الحياة الدستورية منذ سبع سنين مما لا تزال له عواقبهُ ... ولكنْ ما لنا وللسياسة ، قاتلها الله ! أمّا نحن فلم تُعرَف عنا كلمةٌ واحدةٌ ضدَّ الوفد ولا ضدَّ الديمقراطيـة المصرية ، بل على العكس ليست لنا الا وجهةٌ قوميةٌ خالصةٌ تأبى أن تخلط بين الأدب والعلم والسياسة ، وحسبنا ما اخترناه من ميادين لخدمة وطننا . فهل من النبل مثل هذا التشكيك فينا والتحامل علينا وعلى كلّ مَن يأبى أن يكون آلة من آلات السياسة ؟

ولنعدْ الى النقد الأدبى الذى يتبرع به صاحبنا فهو لا ترضيه كلمة « ترفّ » فى البيت السادس مع أنها تشعر بالحياة فى ذلك الشعر ، فانّ « رفّ » هنا بمعنى « لمع » ، وغير صحيح أن هذه الكلمة مقصورة على الطائر !

ويستنكر الناقدُ مرةً أخرى إدخالَ أداة التعريف على كلمة « الخاسر » ، فى حين أنّ الخطاب بين اثنين والسياقُ يدعو الى ذلك ، كما يستنكر قولنا « تهدى الأنامَ ولا تخيّب عاثراً » فيقول خيّبهُ الله انّ معنى ذلك أنها تساعد العاثر على عثرته ! ومثل هـذا الفهم لا يفهمه الاَّ كلُّ ذهنٍ مريضٍ ، فكلمة « خيَّبَ » معناها لم يُنله مطلوبه . وهل مطلوب العاثر زيادة عثرته أم إقالته يا حضرة الناقد الحصيف ؟

وأما عن استنكارنا من قديم عبثَ النقاد اللفظى فأمرٌ يبرّره الواقع الى الآن ، وحسبنا مثال ناقدنا الفاضل الذى تفسح له جريده (الوادى) صفحتها الأدبيـة

بارتياح عظيم ، كذلك استنكارنا لشعراء التنميق والعبث وإن لم يبلغ حضرة الناقد حتى منزلة هؤلاء .

ولا يستطيع صاحبنا أن يفهم العِبرة النفسية من قصيدة « النهضة إرادة » فيروح يملأ أنهار (الوادى) بعجائب اعتراضاته على ما يجهله . لا يفهم صاحبنا أن فقدان « الارادة » الشعبية هى كبرى المصائب ، فالهنات والعيوب الكثيرة تحتمل وتغتفر وأما ضياع تلك « الارادة » الشعبية للنهضة فمعناه الانتحار ، ولا قيمة للعلم بجانب ذلك الانحلال .

وينتقد صاحبنا الجاهل باللغة استعمالنا كلمة « أضاع » ويؤثر عليها كلمة « ضيّع » مع أن كلتيهما مستعملة فى لغة التخاطب وفى لغة الكتابة ، ولا معنى لهذه الحنبلية . وأنى لمثله أن يعرف قول العرجى :

أضاعونى وأىّ فتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسدادِ ثغرِ !

ويُزهى ناقدنا الهمام بعثراته هذه فينتقل الى نقد مقطوعة « اضطهاد الرأى » ، واليك نصّها :

أسفى على عهدٍ به يَجْنى الجبانُ على الجريحْ
ويَسومهُ أقسى الهوا نِ فيُقتلُ الخلقُ الصحيحْ
باسمِ السياسةِ حُلِّلَ الـ إجرامُ والعيشُ القبيحْ
حتى تبرّأ كلُّ ذى فضلٍ من الفضلِ الصّريحْ
كيما يَصونَ حياتَه كيما يُريحَ ويَستريحْ
أسفى على عهدٍ به إنكارُ بطرس المسيحْ[1] !

وصاحبنا الواهم المغرور يقول إنه كان الأولى بنا تغيير القافية حتى نقول بدل ذلك :

أسفى على عهدٍ به يَطْغَى القوىُّ على الضعيفْ

---

(١) تظاهر الرسول بطرس بانكار علاقته بالسيد المسيح اتقاء للاضطهاد ، وقد نُظِمَتْ هذه الأبيات لمناسبة « الحركة الانكارية » الاضطهادية فى أوائل سنة ١٩٢٥

أو :

أسفى على عهـــدٍ به يجنى الـكبيرُ على الصغير

أو ابقاءها مع القول :

أســـفى على زمنٍ به يجنى الطغـــاةُ على الصريخ

ولو أنه راجعَ حوادث سنة ١٩٢٥ الاضطهادية لأغنته عن شروحٍ لا يسمح بها مبدأ هذه المجلة ولما تقدَّم بذلك التعديل السخيف .

ويتهم البيت الثانى بالركاكة وهو تمحل نقدى قديم عند العاجزين ، وأما القول بأن الجبان لا يسيء إلى جريح فـكلام مردود ، فذلك عين الجُبن وعينُ الجبن فى أساليب السياسة خاصة . وناقدنا الغيور على اللغة يحدثنا فى عباراته المفـكـكة عن النسر « المهاب » ولا نعرف نحن نسراً مهاباً وانما نعرف النسر « المهيب » أيها المعلم ! وقد شبهنا سعد زغلول باشا بالسيد المسيح ، وشبهنا أحد كبار رجالات الأمة الذين اضطرّوا الى التخلى عن الزعيم الأكبر بالرسـول بطرس ، ولـكن ناقدنا الهمام لم يفهم شيئاً من هذا ، أو سمحت له ذمته النقية بالمغالطات الفاحشة متجاهلاً شعر ديوان « الشعلة » وفيه ما فيه من الدفاع الحار عن الديمقراطية كما فيه ما فيه من المؤاخذة لدولة صدقى باشا فى حدود النصيحة القومية الخالصـة يوم كانت لدولته ثائرة على الزعماء — أنظر قصيدة « الزعامة » ص ١٠٧ من ديوان « الشعلة » الذى صدر فى عهد حكمه وفيها نقول :

إنَّ الزعامةَ للتداوُل دائمـاً ومِنَ الرجاحةِ أن نُذيعَ صلاحَها

يتراشقُ الزعماءُ ، لـكنْ فى غدٍ يتصافحون ويطلبون سماحَها

فـكنْ الجرىءَ والمروءةِ صافحاً وكنْ الزعيمَ مبــدّداً أتراحَها

يتناوبُ الزعماءُ فضلَ قيادةٍ لـكنْ تضافرُهم يُعزّ سلاحَها

ليس التآلُفُ غيرَ برءِ جراحِها حين التحـزّبُ يستثير جـراحَها

فهل هذه أبياتُ رجلٍ متحزّبٍ لصدقى باشا أم صيحـةُ وَطَنِىٍّ غيورٍ على الـكرامة القومية والوحدة الوطنية وعلى كرامة الزعماء جميعاً أيها المزوّرون ؟ !

وهل جرأ شاعرٌ آخر على أن يؤاخذ صـدقى باشا على حزبيته وتحامله كما

آخذناه نحن وهو فى إبّان مجده وسطوته ؟ ! ولـكنـكم تعدّون من أسمى الفضائل أن لا تعرفوا الخجل ، فمن العبث كلّ العبث أن نناقشكم مناقشة جدية يا أقطاب التلفيق !

« ٥ »

يدّعى بعضُ المتطفلين على النقد أن أروعَ الشعر هو الشعر الذى يوحيه الشرابُ وأن الخمر من أهم ملهمات الشعر ، وغالى أحدُ المتحاملين منذ سنوات فزعم أن صاحب (الشفق الباكى) أبعدُ الناس عن الشعر لأنه بعيدٌ عن الخمر ! فـكان هـذا الحادث موحياً لمقطوعة «الخمر والشعر» فى ديوان (الشفق الباكى) — ص ٩٠ — التى يدّعى ناقدنا المتحمس انه لم يفهمها وأن لديه جائزة ثمينة لمن يفسر له معناها ... ولو أكبَّ هو وصحبُه على دراسة ما ينقدونه وظروفه وملابساته قبل التورّط فى النقد (وهو الذى يجب أن يكون آخر مراحل الأدب بدل أن يكون أوّلها) لأنصفوا النقـد وأنصفوا أنفسهم وغيرهم ، ولـكن ما الحيلة ومعظم صحفنا الأدبية تضع أنهارها تحت تصرف كل ناقدٍ بغضّ النظر عن مؤهلاته حتى أصبح كل من يحمل اليراعة يتخيل أنه سينتمسبرى أو أناتول فرانس ؟ !

ومن العجيب أن ينـكر علينا ناقدنا المتحذلق بعض كلمات تجرى فى شـعرنا ويشاركنا غير واحد من الشعراء والـكتاب فى استعمالها ، وهذا ما ينتظر ممن يبحث عن القشور دون اللباب . والأسخفُ من هذا أن ينـكر علينا قولنا «الأمّ الطبيعة» بحجة أن هذا تعبير انجليزى كأنما هذا ينفى انسانيته ! ويقضى التمادى فى السخف أن يقول صاحبنا هذا إن كثيراً من كلماتنا مما استعمله شاعر انجليزى ويسمى هـذا سطواً ، كأنما الرجل الذى يستوعب الأدبَ الانجليزى ويعيش فى انجلترا أحدعشر عاماً ويحرر مجلةً فيها مُحرَّمٌ عليـه أن يجمع بين الذوق العربى والذوق الانجليزى فى التعبير ! وانّ من الواجب اغفال ذكر (الطبيعة) من شعرنا بالغاً ما بلغ حبُّنا لها حتى نبرهن له ولأمثاله أننا غيرُ متصنعين !

ويعجب صاحبنا كيف يستمد الشاعر شعره « من كلّ ما يدريه» أى من تجاريبه ومعارفه وشؤون الحياة جمعاء ، ولا نعرف وجهاً للعجب إلا أن يـكون الشعر عنـد ناقدنا وصحبه صناعة كتابية فحسب ! ولـكن المسألة ليست مسـألة عجب ، بل هى مسألة انتقاص وشتيمة باسم الأدب ، ولو فى صحيفةٍ يرعاها أديبٌ كبيرٌ كالدكتور طه حسين ... بيد أننا آثرنا الاكتفاء بمناقشة الآراء الفنية أو شبه الفنية متسامحين

تسامحَ الكرام ازاء الانتقاص والشتيمة ، حتى يرى القراءُ مبلغَ الوهم والغرور والجهل الذى يدين به أمثال هذا الكاتب ، وكيف تغرر بهم الصحف ثم كيف يغرورنهم بها!

لا نفهم كيف ينصب أىُّ انسانٍ نفسه للنقد الأدبىّ وهو لم ينضج بعد فى ملكاته الأدبية وليس له من الخبرة والاطلاع ما يؤهله لشىء من ذلك ! ثم كيف يُرضيه ضميرُه أن يكون فى موقفِ الحكم وهو من البداية متحيزٌ ضدّ الأديب المنقود ؟ فالعيبُ هنا ليس عيباً أدبياً فقط بل هو عيبٌ خلقى كذلك .

يدَّعى هذا الناقد الفاضل أن أبيات « قلم الفنان » (ص ٩١ من « الشفق الباكى ») الموجَّهة الى أستاذنا مطران قد جاءت بعكس ما نريد ويتفنن فى المغالطة شرحاً لأبياتها الناصعة البيان ! وحسبنا أن مطران نفسه قدّرها التقدير الصحيح (انظر رسالته ص ٩٢) فتلك يعرف مدلولات ألفاظنا واشارات شعرنا ، واذا كان يلومنا على شىء فهو لردّنا على مثل هذا العاجز ، ولكننا لا نردّ عليه وحده بل نشمل بردّنا مَنْ يستترون خلفه حتى نُظهر إفلاسه وإفلاسهم وحتى نسجل للتاريخ الأدبى صُوَرَ التيارات النقدية السخيفة التى تشجعها الصحف المصرية هدماً للأدباء المستقلين .

معقولٌ أن تتضاربَ الآراء فى الترجمةِ لكثيرٍ من الشعراء المتقدّمين وأن تصدر عن بعض النقاد أحكام نابية فى حقهم نظراً للشقة الواسعة من السنين التى تفصل بينهم ، ولكن من غير الجائز أن يتصدَّى للبحث فى كيفية نظمنا أديبٌ يعاصرنا ولا يختلط بنا فيأتى بشروح وأحكام خرافية عجيبة دون أن يستحى ! وهذا ما فعله صاحبُنا الناقد حتى قال سامحه الله إننا نتغزل فى صور الكارت بوستال ونأتى بصورة بيت فنسميه « جنة النحل » ؟! أرأيتَ إسفافاً بعد هذا ؟! ومع ذلك تفسح له جريدةٌ محترمةٌ كجريدة (الوادى) صفحتها الأدبية بملء الترحيب بقدر ما تقفلها فى وجهِ كلّ مدافعٍ عنا وآخر من أبلغنا ذلك الشاعر أحمد مخيمر !

لسنا نحن أيها الناقد العزيز الذين نلهو بصور « الكارت بوستال » فأنت أدرى منّا بهذا الطراز من الأدباء ، وما مِنْ رسمٍ فنىٍّ عُنينا به الا وكانت له كلُّ الجاذبية الفنية لنا وكأنما هو حىٌّ مجسَّمٌ أمامنا يوحى ويُستوحَى ، وملاحظاتك انما هى دليلُ جهلك بمعنى شعر التصوير ، فحبذا لو رجعتَ الى قصيدتنا فى هذا الموضوع

(ص ٢٤ من ديوان « الشعلة ») وأما عن صُورة « جنة النحل » (ص ١٠٦ من الشفق الباكى) فهى تمثل مَشهدين من أجمل مشاهد زيلاندا الجديدة المعدودة جنة النحل ، ولكن ما ذا نقول فى ذكائك الخارق وفى غباوتنا أيها العزيز ؟ ! وأما عن كثرة الانتاج كيفما كان فنحن أبعدُ الناس عن اعتبارها ذات قيمة فى تقدير الأدب والأدباء ، وقد صرّحنا بهذا المعنى تكراراً ، فلا معنى للمغالطة فى ذلك .

ونراك وصحبك أيها العزيز تجهلون حتى معانى اللام الجارة التى تأتى فى محل (فى وعنْد وبَعْد) ، ولكن ما ذا نقول والذنب ليس ذنبكم وإنما ذنب الصحف التى تغرّر بكم وتغررون بها ؟ ! وماذا نقول فيمن يقرأ مقطوعتنا عن « الله » (ص ١٤٢) فلايدرى مَرجع الضمائر ويتخبط فى تفسيره وهو أجهل الناس بالتصوّف ومَراميه؟! وما ذا نقول فيمن يحار لمخاطبتنا أسطورة « روح الموسيقى » واستحضاره أمامنا وتمثيل ذلك المشهد فى الشعر ؟ وماذا نقول فى مَنْ يرى أسطورة « إلـهة الجمال » (ص ١٦٣) وشعرها مثالاً للعجز والسقوط ، والاشباعَ فى حركتين منكرا ، ناسياً النماذج الكثيرة التى من هذا القبيل فى الشعر العربى قديمه وحديثه على السواء ؟ ! وما ذا نقول فيمن يَعيب سياقَ الحديث فى الشعر القصصى ، وهو المجال الطبيعى لسياق الحديث ؟ ! وما ذا نقول فيمن يؤاخذنا لتفسير كلمة « الدرّاجة » وهو يعلم أن غرضنا يلتبس عند من يقرأ قصيدة « راكبة الدرّاجة » (ص ١٦٦) مِن قرائنا فى بعض الأقطار العربية النائية التى تعرف البسكليت بغير هذا الاسم ؟ وما ذا نقول فيمن يقرأ مستهلّ هذه القصيدة :

يا غادةً تَركبُ فى خِفَّـةٍ محسودةٍ لولا رشيقُ القوامْ !

فيتعثر من فوره ويسحقه الغباء فلا يفهم أنّ فى البيت اطراءً مزدوجاً : وهو أنّ خفتها مما يُحْسَدُ لولا أنّ قوامها الرشيق صار أجدر بذلك الحسد ؟! وما ذا نقول فيمن يدّعى أن البيت الثانى فى قولنا :

أتْعَبْتِ ساقَيْكِ بلا مُوجبٍ يا حُسْنَ ساقيكِ بوثبٍ يُرامْ !
هلاَّ تَسنَّمتِ ظهوراً لنا فكلُّنا يحملُ عِبْءَ الغرامْ ؟!
حَمْلُكِ مِن أحلى ثمار الهوى و « عِبْؤُكِ » البرّ يُداوى السقامْ !

معناه دعوة هذه الحسناء الى ركوب ظهر الشاعر بدرّاجتها ؟ ! أيجوز أن يوجَد اسفافٌ فى النقد بعد هذا مع ادّعاء افساد الوزن لدى جاهلٍ بفنون الشعر والنظم ؟!

« ٥ »

كان من جراء تغلغل السياسة فى الأدب وسيطرتها عليه ومحاباة المشتغلين بها أن ظهرت خرافات كثيرة فى الأحكام والملاحظات النقدية واتسعت دائرة الفوضى. وزاد هذه الفوضى اتساعاً أن الصحف فتحت أبوابها من غير حيطة لتطفل الكثيرين من المتأدبين المتبرعين، وفرحت هذه الصحف بذلك مادام هذا يوفّر عليها النفقة لاستكتاب الأدباء القديرين، وحسبها أن تتظاهر بأن لها صفحات أدبية خاصة!

وكان تبعاً لذلك أن ازدانت تلك الصفحات «الأدبية» بأقبح النعوت لجمعية عاملة غيورة كجمعية أبولو يتقدم أعضاءها أمثالُ خليل مطران واحمد محرم والدكتور ابراهيم ناجى ومحمد الهمياوى واحمد الشايب والدكتور زكى مبارك والدكتور رمزى مفتاح وحسن كامل الصيرفى وخليل شيبوب ومصطفى عبداللطيف السحرتى وعبدالعزيز عتيق وسيد ابراهيم وأندادهم. وكان تبعاً لذلك أن الجمعية تغرّر بالشباب لأنها لم تقبل فى عضويتها سوى عددٍ محدودٍ منهم مكتفية لهم بالانصاف الأدبى العام، رافضةً لهم ولغيرهم ألقاب «الاستاذية» وأمثالها التى يمنحها غيرُها حتى لطلبة المدارس! وكان تبعاً لذلك أن يتقوّل عليها وعلى هذه المجلة الكائدون الأنانيون فى الوقت الذى نحرص أشدّ الحرص على الكرامة والاخلاق واستقامة المبادىء! وكان تبعاً لذلك تحريفُ أقوالنا والتخريجُ المعكوسُ فى تفسيرها والمغالطة فى شرحها واتهامنا بمناوأة اللغة العربية نحن الذين عملنا على خدمتها فى ميادين شتى بغيرة خالصة أكثر من ربع قرن، وأن يأتى هذا الانتقاصُ لا من أمثال السكندرى والعنانى والبشبيشى وشرف، ولكن من بائع خردوات تفسح له احدى صحفنا المحترمة أنهارها فيقول أدبه العالى عنا «هذا المخلوق»! وكان تبعاً لذلك أن ما ننشره من شعر وأدب نقدى هو فجّ وأىُّ فجّ، بينما ظهورُ نظيره من نفس أولئك الأدباء والشعراء فى الصحف المغرضة التى تنتقدنا يحوّله فوراً الى أدبٍ ناضج! وكان تبعاً لذلك أن تُدبَّر ضدنا حملات واسعة النطاق فى صحف متعددة توصد أبوابها فى أوجه المدافعين عنا، ثم يأتى أولئك الآثمون فيتبجحون بكل صفاقة بأننا ـ نحن المحصورين فى مجلة أو اثنتين ـ نكيد لزعماء هذه المؤامرة الواسعة النطاق المعتزة ضدّنا بكل ضروب الاختلاق والتشهير!

هذه هى الصورةُ العامةُ لعقليةِ تلك العناصر التى لا ترتاح فى الأدب لغير التحزّب الشخصىّ البغيض لا التحزب الفنّى البرىء، وتبنى على ذلك التحزُّب ما

تشاء لها أهواؤها من افتراءات ودعاوى سقيمة ومكائد شتى وخرافات نقدية مضحكة ولكنها مع الأسف منتقصة لمستوى النقد الأدبى فى مصر .

يسأل صاحبنا الناقدُ السكندرى فى مقالة الرابع (بالوادى) نقدا لديوان (الشفق الباكى) — اذا صحَّ أن يُسَمَّى هذا نقداً — علامَ نكثر من علامات التعجب فى أبيات « ارقصى يا غادتى ... » ويشغل من تلك الصحيفة نصف نهر فى ثرثرته ، وما ذلك الا لأنه لا يفهم روحَ القصيدة وما فيها من النداء المتوالى واللهفة . ولكن لا ذنب عليه اذا شغل القراء بأمثال هذه الخواطر ، ولا ذنب علينا فى تتبع سقطاته لا لأنه يَعنينا من أمره شىءٌ ، ولكن لنسجِّلَ لدارسى الأدب المصرى مبلغَ ما انتهى اليه النقدُ الأدبى من الاسفاف فى عصرنا الحاضر بفضل الصحف السياسية المنتشرة .

وصاحبنا هذا يخلط هذيانه فى تفسير الشعر الذى لا يفهمه بالشتائم يكيلها ، فتكافئه (الوادى) الغراء على ذلك بوضع « نقده » فى المكان الممتاز من صفحتها الأدبية ، وتسمح له بأن يقول إن كلمة « أفنان » لا تأتى بمعنى « فنون » بل هى جمع « فنن » فقط ، وتلك صورة من غروره وجهله اللغوى ! وماذا نقول فى الناقد الذى لا يفهم الحالة الرّوحية والتصوّفية لشاعر يقول :

أذكرينى فى أغاريدِ الطّيورْ كم تَغنَّتْ مِنْ حنينى وبشعرى

واذكرينى فى تحياتِ الزّهورْ فهى مَعْنًى مِنْ بيانى قبلَ زهرِ !

ما ذا نقول فى هذا الناقد الذى يريد أن يزنَ هذا الشعرَ بميزانٍ هو أبعدُ ما يكون عن موازين الشعر حتى يتّهمَ الشاعرَ بالخلط والجُنون ؟! وما ذا نقول فيمن يأبى الأسماء العصرية الشائعة لصنوف من الخمور الفاخرة مثل « الكُكتيل » ولا يأبى أثقلَ الأسماء القديمة وإن لم تكن لها مناسبةٌ فى نظمها ؟! وما ذا نقول فى الناقد الذى لا يرى التماسك فى مقطوعة « وجدان الشاعر » (ص ٢٩١) ويفصل بين الأبيات ثم ينتقصها ، ويعلق عليها بتعابير هى أشبهُ بصيحات أبناء الحوارى منها بتعليقات أديبٍ محترمٍ يكتب فى صحيفةٍ محترمةٍ ؟! وما ذا نقول فيمن لا يفهم حتى أبيات « السعادة » (ص ٣٠٧) ولا يعرف موقعَ البدل ومعناه ؟! وما ذا نقول فيمن يحسب الوطنيةَ مغالطةَ نفسهِ وتملقَ « الأمية الكبرى » المتفشية فى الشعب المصرى ، وهى التى يمثلها « أنصافُ المتعلمين » أمثاله الذين جنوْا طويلاً

على النبوغ فى مصر كأنما هو وَصْمَةٌ أو عارٌ ؟! إن الشعب المصرى فى عناصره شعبٌ كريمٌ يا هذا ، وحالته الحاضرة المشجية للغيورين الباعثة لشكوى الشاكين لم يخلقها غيرُ أمثالك من العابثين الجاحدين ، ونحن حقيقة نظلم هذا الشعب الكريم اذا جعلنا اللومَ عاماً .

* * *

هل هوايةُ الأدب وقفٌ على فريق معين من الناس بالنسبة لمهنهم المحترَفة ؟ الجواب طبعاً سلبيٌّ ، ولكن ليس معنى سلبيَّته أن كل انسانٍ فى أىّ مهنةٍ أهلٌ لأن يتناول الأدبَ تأليفاً ونقداً ، نثراً ونظماً ، اذا لم يكن لديه استعدادٌ فطرىٌّ لذلك . فالفردُ الذى يتهافت على النقد تهافتاً وينصب نفسه فى منصب القاضى وهو غير مستكمل للثقافة ولا لروح النقد أو أدواته ، ثم يُصدر أحكاماً طائشة على دخائل أدباء لم يختبرهم بعد ولمَّا يحتك بهم ، ويجعل نفسه أشبه بالببغاء الحاكى لأهواء المغرضين الكائدين الذين يتزلفهم ، ولا يتورَّع عن وصف أديب جهير « بذلك المخلوق » — مثل هذا الفرد لا يصحّ أن يوصف بالأدب ، فطابعه الصادق هو « قلة الأدب » أو « التطفل على الأدب » على أحسن تقدير ، وليس له أن يولول إذا قيل له يا عديمَ الأدب . . . هذا هو الرد المعقول الذى يجب أن يفهمه أديب الخردوات ما دام يتهجم على زمرة من صفوة الأدباء ذلك التهجم المعيب الذى يخالف الروحَ الأدبية الصافية . فالنقدُ الأدبى الخالصُ لا يسوءُ الا العاجزَ الضعيف ، وانما هذه الشوائب التى تُقحم فيه اقحاماً هى التى تسوء كلَّ انسان شريف .

ولكن لنعد الى ندِّهِ الفاضل الذى يهاتر بفضل مناصريه فيلجأ الى انتقاص (الشفق الباكى) والى انتقاص شعرنا عامة بذلك الاسراف السخيف المعيب فى جريدة (الوادى) . فقصيدة « الجديد » (ص ٣٢٢) يجب أن تُعكس معانيها عكساً بتخريجات لا يحلم بها المجانين حتى يقال إنَّ هذا نقد عميق ، وحتى يقال إنَّ (للوادى) صفحة أدبية !

معقولٌ أن يُشَجَّع الشبابُ على الانتاج ما دام موهوباً ، ولكن من غير المعقول أن يغرَّر بأمثال الغنام والعوضى الوكيل وأشباههما من الناشئين لينتقصوا أساتذتَهم بدل احترامهم بأساليب لا شأن لها بالأدب وهى أبعدُ ما تكون عن الخلق الكريم .

ليكن النقدُ الأدبي مثالاً من الإنتاج التأثرى بالمطالعة وليس أحدٌ ملزما بقبوله — كما ذكر الدكتور طه حسين أخيراً — وليس بمثابة الأحكام القضائية ، ولكن ما معنى التغرير بالشباب الى هذه الدرجة وتشجيعه لا على دراسة الآثار الأدبية لمعانيه بل على الاستهزاء بهم وشتيمتهم ؟! أهذا هو النقد الأدبي ولو فى أىّ معنى من معانيه ؟! ألا يكاد يقرب من البَـلَه أن يعجب الغنام من ظهور اسم صاحب (الشفق الباكى) فى ذيل قصائد المراسلة داخل الديوان تمييزاً لها عن الردود عليها فيحيره ذلك أشدّ الحيرة ويعدّه بمثابة الاعلان الشخصى ؟! أهذا هو النقد الأدبي يا أقطاب (الوادى) ؟! وقِسْ على ذلك تخبّطه فى شرح مقطوعة « قوس قزَح » (ص ٣٤١) وتصوير ما يتعرض له قوس قزح من التقلبات ، كتخبطه فى الجهل باشباع الضمّ على شين « الشُّعراء » فى قولنا :

في وشيِكَ الزّاهى قد حيَّر اللاّهى
لونُ الدّماءْ !
أصباغُ نقّاشٍ جادت باذهاشى
والشعراءْ !

وإن أضاع المعنى فى سبيل حذلقته ! ولا يستطيع أن يفهم ذكر كلمة « الدماء » فى هذا الوصف مع أننا قلنا إن لون قوس قزح بدا ضاحكاً ، وما ورد ذكرها إلا إشعاراً بحيرة الناظر ، ولكن ماذا يقال لمن يفهمون الأدب والشعر قراءةً متعثرةً دون أن يبالوا بالطبيعة ومَرائيها ومعانيها ؟! ومسكين هذا الناقد الذى لا يفرّق بين علامة النداء أو التنبيه وبين علامة التعجب !

وقصيدة «شعر الثقافة » (ص ٣٤٣) التى يعيبها أولى بأن يتدبرها ويستوعبها لعلّها تصلح من شأنه الميؤوس منه .

وأما عن المناسبات فليست مما يعيب الشعر ما دام عميق الروح لا يُعنى بالقشور فحسب ، وقد نظمنا وصفاً لحفلة ذكر ولحفلة سباق ولمولد السيدة زينب ولكثير من المشاهد المألوفة فى الحياة ولا نرى عيباً فى ذلك ، بل نلوم الشعراء الذين يتعمدون تجنّب هذه الموضوعات لتفاهتها المزعومة ، مع أن العبرة بتناولها الشعرى لا بعناوينها .

وقس على ذلك الافتتان بإبدال لفظ بآخر وإصغار الشاعر من أجل ذلك ، وهو تحايل نقدى لا يقدّم ولا يؤخر فى شىء ، كما أنه جهلٌ فاضح أحياناً كما فى إنكار صاحبنا

العلاّمة كلمة «الظليم» بمعنى المظلوم ، وكما فى جهله بمعنى همزة القطع فى موضع همزة الوصل للتأكيد ، مثل قولنا فى رثاء طانيوس عبده (ص٥٣٥) :

يا شهيدَ الألحان ! إضحكْ من الدّ ... يا وسامحْ دموعَ واف معنّى !

ومن أغرب السخافات أن تُوجه الى الشاعر الذي له من القصيد المتنوّع المقفّى آلاف الأبيات «تهمة» العجز عن الوزن المقفى لمجرد تنبيهه الى الشعر المرسل والشعر الحر ونظمه بعضَ نماذجها ! ولو صحت هذه «التهمة» لما كانت مما يعاب فلكلٍّ شاعرٍ أن يختار القوالب التى تلائم مزاجه مادام ينصف الشعر ، فكيف إذا كانت «التهمة» مجرد ادعاء وتحامل ؟ وشواهد الشعر العربى المرسل معروفة وقد أشار اليها غير واحد من الأدباء بينهم العقاد ، فليس من جديد إلا فى التوسع بهذا الشعر وادخال الشعر الحرّ free verse ، وخيرٌ للقراء أن يقفوا على نماذج هذا الشعر جملة بدل النظر فى الأبيات المبتورة التى لا تفيد أحداً سوى بهلوانية حضرة الناقد .

***

ذكرى شوقى

مما يؤسَفُ له زرايةً بالشعر أن يُعَدَّ رثاء الموتى ضريبةً على الشعراء فى حين أنّ الشاعر قد لا يواتيه الشعرُ أحياناً فى رثاء خاصة أعزّائه وأحبابه لاعتبارات شتى ، كما وقع فعلاً للمرحومين اسماعيل صبرى وحافظ ابراهيم وأحمد شوقى وغيرهم إزاء صفوةٍ من أخلص خاصائهم وبينهم غيرُ واحدٍ من المشهورين ... فمن العيب الفاضح ومن انعدام الكياسة أن يقول أحدُ المفتونين بالكيد فى الغمرة الأدبية الحاضرة إننا استأنا أشدّ الاستياء من المرحوم أحمد شوقى بك لأنه لم يرث والدنا المرحوم محمد أبو شادى بك ، وأن يقالَ هذا بكل وقاحة وسماجة عند الذكرى الثانية لوفاة شاعرنا الكبير ! . . . وكلُّ مَن يعرفنا يقدّر أن هذا السبب الموهوم أبعدُ ما يكون عنّا ، فنحن نعرف المحبة الوثيقة التى كانت بين الفقيدين ونحترم ذكراها ونعرف الاعتبارات السياسية التى أرغمت المرحوم شوقى بك على الابتعاد عن أعلام الوفد زمناً ما ، فالقول بأن شوقى بك لم يحفل برثاء أبى شادى بك غيرُ صحيحٍ وسُبّة لوفاء الشاعر الكبير ، ولكن هى الظروفُ التى أرغمته إرغاماً ، كما أرغمته على السكوت إزاء آخرين من أعلام الوطنية المصرية الذين فقدتهم البلاد .

أما خلافُنا سابقاً مع الشاعر الكبير فخلافٌ على المبادىء الأدبية وعلى مايتفرّع عليها من أساليب ودعايات ، وبالاختصار هو خلافٌ على فكرة الفردية ضدّ الجماعة أو على فكرة الملكية ضدّ الجمهورية فى الأدب ، وهو نفسُ خلافنا مع العقاد ، وفيما عدا ذلك فنحن أبعدُ الناس عن انتقاص فضل الرجلين أو التعرض لأخلاقهما الخاصة بحالٍ من الأحوال ، ولا نستحلُّ المسائلَ الشخصية التى لا تكون لها أوثقُ الصلات بالمذاهب الأدبية . وقد رأينا فى شيخوخة المرحوم شوقى بك تحوّلاً عن مواقفه القديمة واجتناباً لمن كانوا يتابعونه فيها ، فسرّنا ذلك وتعاونّا أدبياً مع الفقيد ، وحاولنا بمساعدة الصديق الشاعر سيد ابراهيم أن نصلح بينه وبين العقاد ، ولم يفتنا أداء الواجب نحوه حياً وميتاً . وكان حزننا وحزن زملائنا عميقاً لفقدانه ، كما وقفنا ازاءه موقفَ الوفاء والتسامح ، وجرى القلمُ بهذه الأبيات فى رثائه يوم وفاته (ديوان « الشعلة » ص ١٢٩) :

خَتمتَ كتاباً للحياةِ وإن تكنْ ... خططتَ لسفرٍ آخرٍ منكَ عنوانَكْ
وإنْ أسرفَ اللُّوّامُ لوماً فانّنى ... اذا سأل التاريخُ أذكر إحسانَكْ
بكيتُ وقد جاء النَّعِيُّ يُثيرنى ... بكاءَكَ فى المنفى تسائلُ أوطانَكْ
وإنى الذى يَنْسَى الاساءةَ راضياً ... وهيهات أن أنسى كغيرىَ نسيانَكْ

ومن بين هؤلاء الفضلاء الكائدين مَنْ كان يرى فى تعبير شوقي (قِفْ) و (قُمْ) معانيَ نفسية لا تتفق والرجولة الكاملة ناسباً ذلك الى أصول « علم النفس » ! فاذا بنا الآن نسمع عكس ذلك ، وأن هذه هى تعابير القوة والهمة ! ... و«علمُ النفس» المسكينُ يُسخَّر الآن فى استنتاجات معكوسة لاتهامنا بمثل ما وُجِّه ضد شوقى — نحن الذين عملنا طويلاً على حسن توجيه الشباب وصيانة رجولته وكرامته والقضاء على الزعامات المصطنعة والمجتمعات المرذولة والآثار الاباحية وبيئات القال والقيل ، مكتفين بأن نعمل فى هدوءٍ واستقلالٍ وعزلةٍ ... ولكن ماذا يُنتظر الآن وزمامُ النقد الأدبي غالباً فى أيدٍ هى أبعدُ ماتكون عن الخبرة بالنقد الأدبى ، وكلُّ ما يعنيها الظهورُ بأىّ ثمن على حساب الكرامات وأقدار الرجال وتسخير الأدب لشتى الأهواء ، فأصبحُ يتهم المرء منا بعكس صفاته البارزة المعروفة ؟! فهل كان شىءٌ من هذا القبيل فى مصر منذ ثلث قرنٍ قبل أن تكون لها جامعتها ومعاهدها العالية الحديثة

ومجلاتها وصُحفها الجديدة ، وقبل أن ترتقي هذا الرقيّ الأدبي ؟ ! واذا كان الجواب سلباً ، فهل نحن في حقيقةِ نهضتنا سائرون الى الوراء أم الى الأمام ؟ !

***

عبث الشباب

يَعرف قرّاءُ (أبولو) كيف نُعنى بالتعريف بشعراء الشباب خدمةً للجيل الجديد وتمهيداً لشعر المستقبل ، إلى جانب خدمة شعرنا الحاضر وانصاف رجاله . وعادتُنا أن نكتفي بالتعريف ولا نتوسَّع في النشر لأيِّ شاعرٍ من شعراء الشباب لا ينهض بشعره مهما كانت مودَّتُه لنا . وقد تحاشينا وصفَ هؤلاء الشباب «بالاستاذية» ، لا كما تفعل مجلات كثيرة في غير مراعاةٍ منها للواقع ولا لنتائج ذلك على نفسيَّاتهم وأخلاقهم .

وقد أغضبتْ هذه الخطةُ بين مَنْ أغضبتهم الشاعر الشاب العوضي الوكيل فكتب الينا مستاءً جدَّ الاستياء ثم سحبَ ما له من شعرٍ لدينا ، وكان ذلك منذ عام مضى . ومنذ أسابيع كتب الينا صديقُه الشاعر أحمد مخيمر رسالةً يُعلن لنا فيها أسفَ العوضي الوكيل وتودُّدَه العظيم الينا ثانيةً ، ويَعرض علينا قصيدته « صدى النور » للنشر في (أبولو) ، ونظراً لما فيها من تقدُّمٍ شعريٍّ لم نرَ بأساً في نشرها . ثم أطلعنا فيما بعد على كتاب خاص اليه من العوضي الوكيل معزِّزاً لرسالته السالفة الذكر .

وما كادت القصيدةُ تُنْشَرُ حتى ذهب العوضي الوكيل يصول ويجول في جريدة (الوادي) مفتعلاً من ذلك اعلاناً شخصياً عن نفسه ومدَّعياً أننا ننشر « أدبه » بالقوة (كذا !) ، وأنه ابتعد عنّا لأسباب لا علاقة لها بالأدب ! ! ورئاسةُ تحرير (الوادي) ترى من الواجب أن تشجِّع كلَّ منتقصٍ لنا — ناشئاً كان أم غير ناشيء — على نشر مثل هذا الاسفاف والهذر . فأمّا عن الناحية الخلقية فيها فهي تخصّ معهدَ (دار العلوم) الذي ينتسب اليه العوضي الوكيل كما تخصّ مَن يتشدَّقون بالتغرير بالشباب ، وهم يجنون عليه بهذه الصورة وأمثالها ، ولهم أن يحققوا في هذه المسألة ليعرفوا مبلغ ما انتهت اليه الأمانةُ عند مثل هذا الشاب . . . وأمّا عن ناحية الكرامة فكرامتُنا موفورةٌ ، وانما هذه المناورة تنال الشاعرَ أحمد مخيمر الذي لم يتردَّد في الكتابة فوراً الى جريدة (الوادي)

مصحّحاً ما أدّى اليه هذرُ صاحبه من مغالطةٍ ذميمةٍ تمسّه دون أن تمسّنا ، ولكن نزاهةُ (الوادى) الغراء قضت بأن لا تنشر خطابه !

الى هذا الحدّ بلغت استهانةُ بعض الشباب بشرفه الأدبى فى سبيل الكيد طواعيةً لمن يسخّرونه فى سبيل ذلك ، والى هذا الحدّ ضاعت الحريةُ الصحفيّةُ تحقيقاً لذلك الكيدِ الذى يَفتنُ فيه أنصار التحزّب الأدبي ، وبعدهم الطوفان !

« • »

نقد الألحان الضائعة

قرأتُ للشاعر سيد قطب مقالاً فى (الأهرام) بعددها الصادر فى ٢٠ أكتوبر عن ديوانى (الألحان الضائعة) كنت أود لو أنه سلك به طريقَ النقد الصحيح ولم يحد به الى التجريح حتى لا يفهم منه القارىء ما فهم ، لا سيما وأن بين الناقد الفاضل وبين (جمعية أبولو) التى أشتركُ فى عضويتها شيئاً من النفور كشفت عنه مقالاته التى كتبها فى مجلة (الأسبوع) أخيراً ، كما كنت أودّ له أن يقف من الحق موقفَ المعترف فلا يبغى عنه حولاً كما لاحظت ذلك فى نواحٍ كثيرة من نقده ، إذ هو بينما يجد نفسه منساقاً الى الاعجاب بقصيدة أو معنى فى الديوان اذا به يريد نفسه على محاولة تغيير رأيه . ولأضرب على ذلك مثلاً قوله بعد أن نقل قصيدة «حياتى» التى قال عنها إنها نموذج لقوة أدائى ووضوح أسلوبى ودقة تعبيرى :

« ومثل هذه القصيدة الناضجة السليمة بالنسبة للشاعر » أومثل قوله عن الديوان : « ... وفى نقده نقد لشعر جميع الشبان الشعراء الذين لم ينضجوا بعد ، والذين لا تزال نهضة الروح الشعرية عندهم يعوقها عدمُ الضبط والتركز وضعف الأداء والتقصير اللغوى » .

هذان المثالان نموذجان للغمزات المدسوسة على كلمة الناقد الفاضل دسّاً ، وللتجريحات المكرَهة على أن تحتل مواضع لم تمهّد لها ، وهذا ما كنت أود أن ينزه عنه قلمه .

هذا شيء ، أما الشيء الآخر فهو محاولته أن يقف من شعراء الشباب موقف مَن جاوز هذه السنّ واكتسب من تجاريب الحياة ومن تقدم العمر ما يؤهله للحكم على هؤلاء الشعراء ، فى حين أن الناقد هو من بين هؤلاء الشعراء الشبان الذين

ما يزالون يتطلعون الى الكوكب الدريّ ويضعون الأسس ، وممن تنطبق عليهم تلك الأحكام التى أصدرها على شعرهم . فهو فى كلمته يكثر من الكلام عن النضوج وقلّته فى شعر الشباب ، وهو يتكلم عن ضعف الأداء والتقصير اللغوىّ وعدم الدقة فى التعبير ، وهذه الاحكام الثلاثة الأخيرة تهمة لا يمكن أن تنهض على قدم وساق لأنها نغمة تعوّدنا أن نسمعها من بعض الأشياخ الذين يخشون على مراكزهم من حركة الشباب ونهوضه . وهى أشبه شىء بالنغمة التى كانت الجرائد الانجليزية ترددها فى المناسبات المتعددة من حياتنا الوطنية : نغمة الأقلية والأغلبية فى النعرة الدينية المعروفة بين عنصرى هذا الوطن !

والذى آسف له أن يفهم البعض أن من أصول النقد التعالى على المنقود واعتباره بالنسبة للناقد تلميذاً يخطو الخطوات الأولى ، وليس هذا هو النقد . فلقد قرأت للشاعر سيد قطب شعراً ينبىء عن مستقبل طيب ، على أن هذا الشعر لا يمكن أن يمهّد لصاحبه التكلم عن النضوج بمثل ما تكلم عنه ، وكنتُ أحب لو أنه ضرب لى الأمثال على هذا النضوج بشىء من عنده حتى يمكننا أن نقتدى به ونتنافس فيه.

***

يقول الشاعر الشاب إن من مساوىء شعر الشباب التى تجتمع فى ديوانى التفكك والغموض والشطط والفوضى والرخاوة ! فأسائله عن موضع التفكك فى شعرى ، وأنا من أكثر الشعراء حرصاً على وحدة القصيدة ، كما أسائله عن هذا الشطط وهل وثبة الخيال مكروهة أو معيبة ، أم ما ذا يعنى هو بالشطط ؟! فأما الفوضى فيمكن أن تفسرها التهم الثلاث التى أشرت اليها فى أول هذه الكلمة ، وأما الرخاوة فقد استنتجت من كلامه أنه يعنى بها هدوء الشاعر ووداعته ، وهذا منطقٌ عجيبٌ ! بقى الغموض ، وهذا ما أسأل شعر الناقد عنه فهو ميّال الى الغموض ، وعلى ذلك لا يمكننى أن أقول إنها سيئة حتى لا أجرح شعرَه .

***

ويقول بعد أن يصفنى بالطائر المقصوص الجناح الذى « ينظر ويتأمل ويتألم ويحاول فى رفق أن يلفت الناس الى شدوه وشجوه فى نغم خافت باهت فان لم يسمعوا أو يلتفتوا لهذا الصوت الضعيف ، صمت أو أخذ ينوح ويشدو لنفسه فى سكون » . ثم يقول بعد هذا : « وفى هذا المستوى الشعورى يقف شعره فهو أبداً الطائر المغرّد

المقصوص الجناح ، أو الموسيقى الهادىء لا يسمع إلا نفسه والقريبين المنصتين ، فاذا أنت تطلبته فى الأوج أو فى غمار الحياة الصاخبة لم تكد تعثر عليه !!! »

هذه الجملة التى تذيلها ثلاث علامات تعجبية تحتاج الى تفسير . فماذا يعنى الأديب الفاضل بالأوج أو غمار الحياة ؟! أيعنى تصوير الحياة بمآسيها وأفراحها ، بضجّتها وسكونها ، أم يعنى شيئاً آخر كتصوير الحركات السياسية والدخول فى معامع الانتخابات والتهليل لكلّ حاكم ؟ إن كان يعنى التفسير الأول فديوانى به زاخرٌ ولا يستطيع أن ينكره وان كنت قد حاولت أن أرسم آلامَ العالم عن آلامى إذ أن شقاء البشر لا يختلف فيه فردٌ عن فرد وإن اختلفت وجوه الشقاء وألوانه ، فهذا لا يدعو الى الحكم بأنه لم يصل إلى أعماق الحياة وفلسفتها . أما إذا كان يعنى التفسير الثانى فلا أوجّه اليه الا سؤالاً واحداً وهو : كم عدد القصائد السياسية أو الصور الناطقة للحياة الوطنية فى مصر التى تضمّنها دواوين العقاد على شدة اتصاله بهذه الحياة ؟

* * *

يأخذ علىّ قولى عن النفوس الخارجة إلى الكد فى الحياة بإيمان وآمال هى فى ذاتها خادعة :

وكم قادَها فى شِعابِ الضلالِ   سرابٌ يغـــرّر بالباصرَهْ

بقوله : « النفس لا تخلق السراب أو لا تتبع السراب إلاَّ وهى مؤمنة بالحياة أوثق الايمان ، والحقيقة أننا لا نحب الحياة لأننا نؤمل فيها بل نحن نخلق الآمال لأننا نحب الحياة وننتظر أية تعلة فى القريب أو فى البعيد تسوغ لنا هذا التعلق بها ، أما حين تضعف فى نفوسنا خوالج الحياة وتفتر حيويتها فلن ينبض أملٌ ، ولن يلمع سرابٌ »

وأنا أطالب الناقد الفاضل بقراءة هذه الأبيات بدقة وتمعن فانى أصور النفوس الخارجة الى الكدّ وفيها نوازع اليأس التى تحاول هدم الايمان وتقويضه وايقاف النفوس عن الاستمرار فى طريقها بعد أن غرر بها الأمل .

كما أوجّه نظره الى أن البيت الآتى :

تئنُّ أنينَ المريضِ الضعيفِ   وتصرخ كالجِنـــةِ الثائرهْ

لا تناقض فيه لأنى لا أصف نفساً واحدة وانما أصف نفوساً مختلفات خرجت

لأرزاقها ، ويمكنه الرجوع الى ذلك فى القصيدة حتى يعرف فى أىّ جانب يكون الحق .

أما خطأ الأداء اللغوى الذى يراه فى قولى :

فنرجعُ مِن غمراتِ العراكِ علينا كواهلُه القاهرة

بقوله « نحن لا نرجع وعلينا كواهل العراك بل نرجع وعلى كواهلنا نحن أعباء العراك . وأى مجاز سليم يسيغ هذا التعبير ؟ » ولو تدبر الصورة لعرف اننى أريد تصوير العراك بصورة المستند بكواهله القاهرة على المتعبين الخائرين ولست أصور حمل العبء لان الصورة تمثل العودة من العراك ، وهذا كقولهم «أناخ عليه بكلكله» .

« ٥ »

يعود الناقدُ الى محاولته التى أشرتُ اليها من وضع نفسه فى مستوى بعيد ليظهر الشاعر بمظهر السذاجة التى لا تدرك شيئاً ، يعود الى النضوج الذى أراد أن يسبغه على نفسه وأراد أن يكرر اسمه بمناسبة وبدون مناسبة ، يعود الى ذلك عند الكلام عن قصيدتىّ «الشاعر» و «موت عزرائيل» فهو بعد أن يصفهما بأن فيهما طلاقة وجدة يعود فيدرك أنه ناقد وليس من أصول النقد أن يعترف الناقد بفضل لمنقود ! وليس هنا مجال المناقشة فى فكرة «الشاعر» مادام هو لايراها الا نموذجاً لعدم النضوج والقصور عن الشأو ، كما لا مجال لمناقشته فى قصيدة «موت عزرائيل» التى يرى اننى سرت فيها سيراً عادياً وانتهيتُ الى نهاية ساذجة لا أثر فيها للعمق ولا للطرافة ! ذلك لأنه يريد أن يصف عزرائيل منتحراً أو ميتاً موتة أخرى غير التى صوّرتها أنا ولأنه كان سيموت نفس هذه الميتة ولو لم أكتب قصيدتى كما يقول !

وكيف أناقشه وأنا ليس عندى ما عنده من نضوج الفكر الذى رأى الفكرة ساذجة بعد أن وجد غيره قد اكتشفها وطرقها ، كما رأى بعض الناس أن فكرة اكتشاف العالم الجديد شيء عادى بعد أن عرفه كولمبس !

وقد شاء الأديبُ الفاضلُ إلا أن يوجّه غمزاته المعروفة فهو يقول إن بين قصيدة الشاعر وبين قصيدة « ميلاد الشاعر » لعلى طه أو قصيدته « الله والشاعر » تقارباً ، كما يرى هذا التقارب أيضاً بين قصيدة « موت عزرائيل » وقصيدة العقاد « ابليس ينتحر » ، وإن لم ير أىّ ناقد مستقل شيئاً من ذلك . ولو جارينا حضرة الناقد لوجب أن ننبه على آثار وليم بليك ودانتى وملتون

وأضرابهم وهم مَن سبقونا بأجيال وتناولوا أمثالَ هذه الموضوعات ، ولكنى لا أحب انتقاصَ أحدٍ من زملائى الشعراء .

شىء عجيب ! الآن أصبح الناقدُ الفاضلُ يدين لعلى طه بالأسبقية وهو الذى كان يحدثنى مرة فى نادى الصحافة عما وجده فى ديوان (الملاح التائه) مأخوذاً منه ، فاذا كان قد نسى ذلك فان فى كل نفسٍ ضميراً يحاسبها . على ان هذا الموضوع سأتناوله أنا بالتفصيل فيما بعد .

ولكن لى أن أسأل الناقد الفاضل سؤالاً على الهامش : ألا يجوز لى أن أقول له إن قصيدته « بين الظلال » فيها لبنات من شعرى يرتكز أساسُها عليها ؟ وهل يصح لى أن أقول بعد أن يصدر ديوانه هو فى العام القادم ان بينه وبين على طه تشابهاً فى الأبيات التى ذكرها لى فى نادى الصحافة لأن ديوانه صدر بعد ديوان (الملاح التائه) ؟ !

***

فاذا تركتُ هذا كله للناقد الفاضل وناقشتُه فى اللغة التى يريد أن يجرّدنى من معرفة أصولها واظهارى بمظهر المبتدىء قلت له إن كلمة « عزف » مختلف فيها إذ لم ترد بمعناها المصطلح عليه الآن فى معاجم اللغة ، وان تهكمه على عدم وجود الفاعل فى البيتين الآتيين :

تعالى ! ليس يدرينا اذا ما جفت الكاسُ
أنلقى مَن يساقينا تعالى ! كلهم ناسُ !

يردّ عليه بأن جمهرة النحاة اختلفوا فى هل يقع الفاعل جملة أم لا . فبعضهم رأى انه يقع مطلقاً جملة مثل « يعجبنى يقوم زيد » وكما فى القرآن الكريم « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين » وفى مثل آخر : ظهر لى أقام زيد ؟ وفى آية أخرى « وتبين لكم كيف فعلنا بهم » وقيل : يقع ان علق عنها فعل قلبي بمعلق . وقال الدماميني تبعاً للمغنى تقع ان كان التعليق بالاستفهام كما فى المثال الثالث والآية الأخيرة لأن الاسناد حينئذ فى الحقيقة الى مضاف محذوف لا الى الجملة إذ المعنى ظهر لى جواب أقام زيد ، وهذا التقدير لا بدّ منه دفعاً للتناقض إذ أن ظهور الشىء منافٍ للاستفهام عنه ، كما أقول له عن مؤاخذاته لى على فتح ياء المنقوص فى البيت الآتى :

قد وانت الآسنَ الأماني والجاريَ الماء لم توانِهْ

ان (الجارى الماء) منصوب على الاشتغال لفعل محذوف يفسره قولى بعده « لم توانه » هذا وجهٌ ، وله أن يعتبره معطوفاً على « الآسن » من وجه آخر ، وهناك وجهٌ ثالث فى حالة ما اذا جعلنا الهاء من « توانِهْ » هاء سكت ، وعلى ذلك يكون « الجارى » مفعولاً للفعل « توات » . أما قوله عن فتح ياء المنقوص فلا يعتمد على دليل ولا يوجد ما يؤيده وله أن يرجع فى ذلك الى باب الاشتغال فى كتب النحو .

ويؤاخذنى على استعمال الفعل « يشعر » متعدياً بنفسه ، وفى هذا أذ كّره بباب التضمين أو أذ كّره بالنصب على نزع الخافض كقول الشاعر :

تمرُّون الديار ولم تعوجوا كلامكم علىَّ إذاً حرامُ

وأحيله الى (كتاب درة الغواص) وشرحها للشهاب الخفاجى ففيه بحث طويل حول كلمة « ضوضاءة » ثم أوجّه نظره إلى أن « ما » الواردة فى البيت :

يمرُّ فى الروض ما يُغَنِّى يهز فى الروضِ مُورقاتِهْ

هى « ما » الموصولة وليست الشرطية ، وقد حدث خطأ مطبعى فى الفعل « يُغَنِّى » إذ ورد فى الديوان بكسر النون المشدَّدة . وعلى ذكر الأخطاء المطبعية أقول للناقد الفاضل إنه ليس من النقد فى شىء أن يلجأ الناقد الى الأخطاء المطبعية التى يمكن ادراكها ، كما حدث له أن آخذنى على أن « الرأس » استعمل بعدها فعل يدل على التذكير ولو رجع حضرته إلى بيان التصويبات فى آخر الديوان لوجد تصحيحاً لهذا الفعل .

أما عن « جولات » التى يقول إنى أخطأتُ فى فتح العين فيها لأنها غير صحيحة العين فأقول له إن علماء الاشتقاق يقولون انه إذا أريد أن يجمع الاسم جمع مؤنث سالم نظر اليه فان كانت عينه حرف علة وقبلها حركة مجانسة بقى على حاله بدون تغيير ، وإن كان ما قبل حرف العلة مفتوحاً نحو « جوزة وبيضة وحولة » ففيه لغتان : لغة هذيل وتقول بالاتباع ، ولغة غيرهم الإسكان . وعلى اللغة الأولى قرىء « ثلاث عوَرات لكم » بفتح الفاء والعين ومنها قول الشاعر :

أخو بَيَضاتٍ رائحٌ متأوِّبٌ رفيقٌ بمسح المنكبين سَبوحُ

هذه بعض ردودي عليه في الاخطاء اللغوية التي يرى الشاعر الشاب أنها من مساويء شعر الشباب .

فأما العروض الذي يريد أن يتهمني بضعفه لأني كتبت قصيدة مزجت فيها بحرين في شطري كل بيت لموسيقى خاصة أستسيغها ويشايعني فيها كثير من المعجبين بها ولا أرى فيها غضاضة وأنا أعرفها وأشرتُ اليها لكنه يحاول أن يجعلها عيباً ، فهل اذا كان ذلك يضعف من شاعريتي فهل أضعفت شعرَ العقاد تلك المؤاخذات العروضية التي أشار اليها مصطفى صادق الرافعي وغيره من كبار النقاد؟ وليس عدم ظهور الياء في قولي « تركتني ارتشف اللمى » أو قولي « كآبتي أفقدتني الابتسامه » عيباً وقد وردت الآية الكريمة وفيها حذف الياء في قوله عزّ شأنه : « وما خلقت الانس والجن إلا ليعبدونِ » أو كقول الحطيئة :

فان يصطنعني اللهُ لا أصطنعكمُ ولا أوتكم مالي على العثراتِ

هذا ما عنّ لي كتابته على مقال الأديب الفاضل ، ولولا غمزاته وتجريحاته المقصودة ما رددتُ ، ولكنت قد تقبلتُ منه نقده كما أتقبل نقد الكثيرين باعزاز . والله أسأل أن يهدينا جميعاً الى السبيلِ السويّ والى خدمةِ الفنِّ الخالصة ؟

حسن كامل الصيرفي

***

رسائل النقد

نشرت مجلة (الشرق) التي تصدر عن سان باولو (البرازيل) بعددها المؤرّخ ١٥ ايلول سنة ١٩٣٤ مقالاً عن كتاب (رسائل النقد) لمؤلفه الشاعر الناقد الفاضل الدكتور رمزي مفتاح رأيتُ أن أعلّق عليه بهذه السطور إن سمحتم .

فكاتب ذلك المقال — وهو الأديب الفاضل حبيب البشعلاني — لا يعرف الجوّ الأدبي في مصر معرفةَ المتصل به ؛ وهو يستشهد بكلمة عامة لمجلة (المقتطف) مجاملةً للعقاد على حساب رمزي مفتاح ، ولم نسمع عن (المقتطف) كلمة استنكار واحدة لكتاب (الديوان) الذي أصدره قبلاً العقاد والمازني على ما فيه من الهجو القبيح والمغالطات الفاحشة والتحامل البغيض . ولو كان الأديب البشعلاني في

مصر لما استغرب لذلك ، فهذا السكوت وهذه المجاملة لهما سوابق فى تحرير غير واحدة من المجلات فى مصر . فليس له أن يأخذ بشهادة (المقتطف) النقدية فى شيء كما لا نأخذ نحن بها ، وليعلم أن كتاب (رسائل النقد) معدودٌ ذخيرةً لغةٍ وأدبٍ وبحوثٍ نفسيةٍ قيمةٍ . واذا كان فى عباراته بعضُ الشدّة أحياناً فهى شدة المصلح المخلص الذى ليس له أىّ غرض شخصى من وراء ذلك ، وليس بينه وبين مَن تناولهم بنقده أى خصومة شخصية بعكس حال العقاد واخوانه (راجع ما كتبه الدكتور رمزى مفتاح فى « أبولو » وآخره ما ظهر فى عدد أكتوبر الماضى) . وهذه حقيقة لا ريب فيها وليس من مصلحة أحد إنكارها .

ولولا أنَّ الأديب الفاضل حبيب البشعلانى غيرُ واقفٍ على تطوّر الشعر المصرى فى الثلاثين سنة الأخيرة لما تورّط فى ذلك الانتقاص الغريب لشعر عبدالرحمن شكرى ، ولما تعامى عن الحقائق التاريخية التى يستحيل أن ينكرها أىُّ رجل مستقلٍّ تعنيه حرمةُ الأدب قبل حرمة الأشخاص ، ولا يتأثر بالتهليل والتزمير الذى يظفر به أدباء السياسة وفى مقدمتهم العقاد فى الصحف الموالية التى تجعل منها ومن أنصارها « عصبة مقدّسة » بالحق وبالباطل ... وقد تدرّج حضرة الكاتب من ذلك الى دفاع طويل عريض وهو غيرُ ملمٍّ بأصول هذه القضية ولا واقف على شعر شكرى بجملته ، بل نظر فيما كتب الى عبارات أشياع العقاد فى مصر ومعظمهم من المأجورين الشتامين . ولو أننا أخذنا بدفاعه هذا وطبقناه تطبيقاً عاماً لأصبح الانتحال والسرقة الجريئة من الأمور العادية بل المستحسنة بين شعراء العصر ! فلو لم يكن لكتاب (رسائل النقد) من فضل سوى وضع حد لهذه الفوضى لكفى به نفعاً للأدب المصرى وفخراً لمؤلفه . وبعد هذا فيجب أن لا ينسى الأديبُ البشعلانى أن العقاد عاد أخيراً ومجّد شكرى أعظم تمجيد ، كما أن المازنى اعترف بخطئه فى حقّ ذلك الشاعر المجيد .

ولو تتبّع الأديب البشعلانى أعدادَ مجلة (أبولو) منذ صدورها ولم يكتف بتصفح أعداد قليلة منها لوجدها مثالَ الاعتدال الحكيم وضبط النفس والبعد عن التحزب الممقوت ، وكل غايتها خدمة الشعر العصرى الراقي وانصاف الشعراء بغير اعتبارٍ لجنسٍ أو ملةٍ أو مذهبٍ سياسىٍّ . ولكن هذه النزعة الشريفة لم تُرض العقاد فى أنانيته لأن كلّ همّه منذ سنين محصور فى التفرّد ، وحوله فئة يتعهدها لتنافح عن ذلك بكل وسيلة مشروعة وغير مشروعة ولتهدم منافسيه . فسرعان

ما حارب (أبولو) وجمعيتها بقلمه وبأقلام أنصاره محاربات عنيفة شتى فى الصحف والمجلات الحزبية الى درجة الإقذاع وتناوُل أعراض الناس ، كلُّ هذا والمجلة برغم منبرها الحرّ فى النقاش لم تنكر فضله الأدبى ولا فضل غيره ـ متحملةً بصبر جميل ما تلاقيه من العنت والاساءة ، مكتفية بالدفاع الضرورى عن مبادئها الأدبية وشرف رجالها . ولا شكَّ فى أنَّ هذه الحالة الأدبية المؤسفة هى نتيجةُ الحالة السياسية المضطربة التى انغمسَ فيها العقاد وأصحابه أىَّ انغماس ، ثم نقلوا عدواها الى مجال الأدب فأفسدوه افساداً بأساليبهم الملتوية ودسائسهم القبيحة ومناوراتهم التى لانهاية لها ، مما لا يجهله أىُّ ناقد مستقل يعيش فى مصر ويتبع بدقةٍ التطوّرَ الأدبى فيها .

وانّ مجلة (الشرق) وأنصارها ليُهنَّأون بابتعادهم عن هذا الجوّ المسموم الذى يرجع أصل الفساد فيه أدبياً واجتماعياً وسياسياً الى علةٍ واحدةٍ هى «الأنانية الحمقاء» ؟

محمود الخولى

***

الشعر ودار العلوم

لا نعرف الى الآن شاعراً مجيداً ولا ناقداً مبرّزاً من خريجى دار العلوم دان بألمعيته الى تعاليمها قبل أن يدين بهذه الألمعية الى طبعه أولاً ثم الى اتساع أفقه الثقافى نتيجة اطلاعه على الآداب العالمية سواء أكانت بلغاتها أم منقولة الى العربية . وليس معنى هذه الملاحظة انتقاص فضل هذا المعهد العظيم الذى نحبّه ونجله لما له من من الأثر الكريم فى إعزاز الأدب العربى وابراز كنوزه المخبوءة . ولكن معنى ملاحظتنا أننا لا نحبّ لهذا المعهد الجليل أن يتّسم بعضُ فضلائه بسمات الجمود وأن يتصوّروا فى هذا الجمود من فضائل الغيرة على لغة القرآن ما يزوّق لهم خيالهم .

وأقربُ الأمثلة على ذلك ما كتبه المربّى الفاضل محمد هاشم عطية فى عدد أكتوبر الماضى من (صحيفة دار العلوم) عن «الأدب فى نهضتنا الحديثة» فقد أخذ يلقى بأحكام غريبة على الأدباء المجدّدين تلمح من خلالها أن كلَّ ذنبهم يرجع الى عدم انتسابهم الى بيئة دار العلوم وإنْ احترموها كلّ الاحترام . والمقالُ فى أسلوبه

ومنطقه ونظراته مما لا يُتصوَّر صدوره عن قلم مدرّسٍ معاصرٍ فى هذا المعهد الجليل لأنه نتيجةُ حميةٍ خاطئةٍ طاشت أحكامها .

وأول هذه الأحكام الغريبة أنّ الأديب العصرى لا يجوز أن تعنونَ قصائدَه بعناوين شعرية ، وإلاَّ كانت هذه كلمات مجلوبة وألقاباً مموّهة ومظاهر لاتهام الأدب العربى ! كأنما يحرّم أدبُنا العربى علينا أن تكون لنا ميول وأذواق جديدة ، وكأنما تعابيرنا الجديدة لا تزيد من ثروته كما هو شأن كل لغة حية فى العالم !

ويخصنا الناقد الفاضل بجانب غير يسير من عنايته النقدية التى نشكرها له متناولاً معظم مادة نقده من ديوان (الينبوع) على مثال الأسلوب الذى عِبناه فى العدد الماضى من (أبولو) حين تحدّثنا عن « روح الفقيه وروح الشاعر » (ص ٢٥١).

يعيب ناقدنا البيتين الأولين من قصيدة « عيون المنصورة » (ص ٥ من « الينبوع ») التى نذكرها هنا بنصّها لأنها تشرح ذاتها بذاتها :

عيونٌ كلُّها فِتَنٌ   وأصداءٌ من الفِتَنِ
أحنُّ لسمرةٍ فيها   كسمرةِ مائها الفنّى [1]
فكم فيهِ تحيّاتٌ   من الأجيالِ والزّمَنِ
وكم فيهِ عباداتٌ   لنهرٍ روحُه وطنى
نظرتُ إلى مَعانيها   كأنى لستُ أدريها
فكم من سبحةٍ فيها   لروحى إذْ تناجيها
تناجى ظلَّها الحانى   ونُوراً حائراً فيها
وكم فى الظلّ والأنوا   رِ أحلامٌ اناديها !

ومع هذا يقول حضرة الناقد إنّ ذكر كلمة « أصداء » بعد قولنا « كلها فتن » لا قيمة له ، وأنّ « المعروف أن يترقّى القائل فى المدح من الأهون إلى الأقوى لا العكس » . ونحن نقول إن مثل هذا النقد الفقهى لا قيمة له عند مَنْ يتذوّقون الشعر تذوّقاً فنياً ولا يحارون حتى فى المراد بعنوان القصيدة ! إنّ الشاعر فى هذين

(١) ماء النيل المطلة عليه مدينة المنصورة .

البيتين الأوّلين يتحدّث عن سحر العيون السمراء التي اشتهرت بها مدينة المنصورة (أو التي اشتهر بها أهلها إذا شاء) ومن ثَمَّ ينتقل إلى وصف تأثيرها في نفسه. فهو يقول أوّل ما يقول واصفاً إن هذه العيون كلها فتن كما أنه تتألق فيها أصداء هذه الفتن، فيُخيَّل اليك أنك ترى في لحاتها أحلامَ ضحاياها ولوعاتهم، فهي تجذبك اليها وتروعك في آن، وهذا تصوير حيّ لسحرها العاتي. ثم ان اشارة الحنين الى هذه السمرة المماثلة لسمرة ماء النيل الذي وصفه الشاعر بأنه فنيّ الروح هي اشارة في محلّها يتذوّقها الشعراء وإن لم يفهمها الفقهاء، فلا يجوز لهم أن يتعرضوا لها ولا الى الشعر جملةً.

وعلى هذا القياس لم يستطع ناقدنا الفاضل أن يفهم هذين البيتين من قصيدة «زهرة الحب» (ص ١٩ من «الينبوع») المستوحاة من صورة حسناء زُيِّن جسمها العاري بالزهر وأوراقه:

عَرَضتِ لنا تقاسيمَ الجمالِ وإشعاعَ الحقيقةِ والخيالِ
تَلألأ بالهوى القدسيّ بيننا تَـدفَّقَ بالتجاوبِ لا ابتهالِ

فأيّ غموض في البيت الثاني لأيّ قارىء له ملكة شعرية؟ وكيف تكون كلمة «بيننا» حشواً وهي في موضع «بيننا» ولا غنى عنها لاستقامة المعنى؟!

وأمّا عن «أنشودة الهاجر» (ص ٦٦ من «الينبوع») فهي من الشعر الغنائي المحض، وخيرٌ له أن يسمعه ملحَّناً قبل أن يحكم على رداءة نسجه، فسيرى حينئذ كيف تنسجم حروفه فوق انسجامها، وكيف تكون حلاوة التكرار الذي يعيبه مع أنه طبيعيّ في موضعه.

ويعيب حضرته عنوان «الالـه المتنكر» وبعض الأبيات في ديوان (أطياف الربيع) — ص ١١٦ — وانما يعيب ذلك لا باسم الفن بل باسم الدين الذي هو في غنى عن الدفاع عنه ولا تأبى روحُه مثل هذه التعابير لغايات فنية نبيلة.

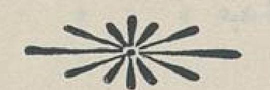
والخلاصة أننا نتمنى على حضرة الناقد الفاضل لو ترك نقدَ الشعر لأهله، فانّ تحامل بعضهم على بعض لأهونُ عندنا وعندهم من مثل هذه الروح الفقهية، ولا شكّ في أن المجال فسيح أمامه لخدمة فقه اللغة أو غير ذلك من فنون الأدب العربي مما هو أقرب الى مزاجه.

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥٢	١٧	ألفاظاً مهنية	ألفاظاً مهينةً
٢٩٢	١٦	والية	والبة
٢٩٦	١٠	طيرِ	طيرٍ
٣٠٠	١٢	برمكِ	برمكٍ
٣١٠	٧	البلبلْ	البلبلُ
٣٢٣	١٥	فساورا	فساوروا
٣٣٣	١٩	مياهً	مياهاً
٣٣٦	١٠	شعاعٌ	شعاعٌ
٣٤٠	٣	وموزن	وموزون
٣٤٠	٨	حقرها	حفزها
٣٤٠	٩	جاس	جاش
٣٥١	٥	وإما	إما
٣٥١	١٠	أن	إن
٣٥١	١١	وأن	وإن
٣٥٥	١٩	ونشتهيها	ونشتهيها
٣٨١	٣	يتفق	يتنقل
٣٨١	٤	يتشمم	يتنسم
٣٨٦	١١	عبتاً	عبثاً
٣٨٦	١٩	اوسخرتَ	وسخرتَ
٣٨٦	١٩	صاغر	صاغرا
٣٨٨	١	مجوباً	محجوباً
٣٨٨	١٠	لا فُض	لا فُضّ
٤٠٥	٢٥	مؤاخذاته	مؤاخذته
٤٠٦	٢٣	حولة	جولة

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	١٨	عبدالعزيز	عبد العزيز
٢٥	١٤	الوادع	الوداع
٤٥	٦	الطيبة	الطبيعة
٤٨	١٠	فقانلوا	فقاتلوا
٦٥	٢	شذًى زهرٌ	شذَى زهرٍ
٧٢	٦	وُفِّقنا	فوُفِّقنا



فهرس

صفحة

الشعر الوصفى

الجمعيات والحفلات

ثمار المطابع



فهرس

فهرس

صفحة

